

## كتاب التوبة

البُيُوتَةُ إِلَى اللَّهِ

وكمفراة الذنوب

الحِجَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ

رواية مختصرة  
عبد اللطيف عاشر

## مختار القراء

للطبع والنشر والتوزيع  
٣ شارع القماش بالهرمساوي - بولاق  
القاهرة. ت: ٧٦١٩٦٢ - ٧٦١٩٩١

AL-MOS TAFA.COM

## كلمة المحقق

كثيراً ما أحلوا — بين أمين والحن — إلى مؤلفات « حجة الإسلام أبي حامد الغزالي » فأجد فيها راحة للقلب ، وسكينة للنفس ، وبخاصة ما يتعلق منها بالمنهجيات .

فلقد قرأت فيما قرأت عن التوبة والتائبين :

« أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به :

هل لي من توبة ؟ »

فأعرض عنه ابن مسعود ، ثم التفت إليه ، فرأى عينيه

تدرقان !!

فقال له :

« إن للتوبة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه منكاً موكلاً به لا يملك ، فاعمل ولا تيأس » .

ورأيت « إمامنا الغزالي » يضع التوبة على رأس المنهجيات في كتابه « إحياء علوم الدين » . ويتناول مكفرات الذنوب تناولاً رائداً ويقرئ لهذا البحث كتاباً مستغلاً نظراً لأهميته وأثره في عاجل حياتنا وحلها !!

ولست أنفي عليك - أيها القارئ العزيز - أن هذا الكتاب قد شذى ، وملك على جوارب نفسي ، حيث تصدى أبو حامد ، لشرح حقيقة التوبة ، وبيان شروطها ، ومسبباتها ، وعلاقتها ، وغمرها ، والآفات المانعة منها ، والأدوية الميسرة لها لما قد لا نجد مجتمعة في كتاب !

وقلت في نفسي : من منا ليس في حاجة عاجلة إلى مراجعة نفسه ، والإقبال على ربه ، ليترى إليه توبة نصوحاً ؟ ولكن كيف السبيل !!؟ وأين الطريق إلى ذلك الباب المفتوح .. ؟ باب التوبة ، !!؟

وهنا برزت فكرة إخراج هذا الكتاب .. لماذا لا نعيد للفكر ؟ ولِمَ لا نيسره للذكر ؟ لئلا لكل مسلم طريق التوبة حتى يكون مع الذين أنعم الله عليهم ورضى عنهم ورضوا عنه .

وما هوذا بين يديك ؛ فإن وفقنا فمن الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ،،،،

عبد اللطيف عاشور  
أول شعبان ١٤٠٦ هـ  
١٠ من أبريل ١٩٨٦ م



## دراسة التحقيق

- هذا الكتاب !
- المؤلف .
- عصره .
- مؤلفاته .
- حجة الإسلام العراقي مؤلفاً ومحدثاً .
- منهج التحقيق .

## هذا الكتاب

نوع فريد متميز بين غيره من الكتب التي تناولت موضوع التوبة والتائبين ، فلقد كان مؤلفه حدها ، وحقيقتها ، ومسببها الذي به تجلب ، وثمرتها التي منها تستفاد ، وعلامتها التي بها تتعرف ، وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب ، مع ما ورد فيها من قواعد الشرع داخل .

وقد نجد من صنف في هذه لعال كتاباً ولكن المؤلف — وهو أعلم بما صنف — يقول

يمتاز هذا الكتاب عن تلك الكتب بخمسة أمور :

الأول — حل ما عقده ، وكشف ما أجهله .

الثاني : ترتيب ما بدأه ، ونظم ما فرقاه .

الثالث — إيجاز ما طوله ، وضبط ما قرره .

الرابع — حذف ما كرره ، وإثبات ما حرره .

الخامس — تحقيق أمور خاصة اعتاشت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً .

ومن أجل هذا كان حرصنا على حسن إعداد هذا الكتاب للنشر وتقديمه لقراءتنا وما هو ذا بين يديك !

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينير لنا طريق التوبة ، وأن يحسنه لنا من أمرنا وشأننا .



## المؤلف أبو حامد الغزالي

• ولد أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي في قرية «غزالة» من أعمال «طوس» سنة ٤٥٠ هـ ..

• تنقل في طلب العلم بين «طوس» إلى «جرجان» و«نيسابور» حيث لازم إمام الحرمين الجويني، وصار من أخص تلاميذه.

• لقي الوزير «نظام الملك» بعد موت إمام الحرمين فعرف له مكانته، وأثوله نحو منزل، وفوض إليه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد بعد أن جرى بينه وبين العلماء مجادلات ومناظرات في عدة مجالس استوجبت إعجاب نظم الملك. وكان يحضر درسه نحو ثلاثمائة من كبار العلماء حيث كانت تشد إليه الرجال.

• ثم ترك الدنيا وزينتها وخرج من بغداد سالماً متصوفاً (عام ٤٨٨ هـ)، وبدأ بالبحث ثم دخل الشام وأقام بها زاهداً، ول عزته ببلاد الشام ألف «كتاب الأحياء» ثم انتقل إلى بيت المقدس، ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية مدة، ويقول ابن خلكان إنه قصد الركوب منها في البحر إلى بلاد المغرب للاجتماع بالأمر «يوسف بن تاشفين» صاحب «مراكش» فبلغه فيه، وعندئذ صرف عزمه عن تلك الناحية، وعاد إلى بغداد ثم خراسان.

• درس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة أخرى، ثم رجع إلى طوس، واتخذ إلى جانب درسه مدرسة للفقهاء، وخانقاه للصوفية.

• قسم وقته بين العبادة والتدريس ومجالسة المتصوفة إلى أن وافاه الأجل (سنة ٥٠٥ هـ) في مدينة الطبرستان قبة طوس بعد أن ملأ الدنيا علماً وفضلاً وخيراً.



## عصر الإمام الغزالي

(١) هو عصر السلاجقة الذين قاموا «سيرة أهل السنة على الشيعة».

(٢) وهو العصر الذي نشط فيه الفلاسفة.

(٣) كما ازدهر العصر بأصحاب المذاهب الفلسفية المختلفة فلم يكن عجباً ولا غريباً أن يتصدى «حجة الإسلام» الغزالي هؤلاء ولولئك .. بالرد .. والتضيق .. والمناهضة ويعتقها حرباً .. وجهه هجماته وغاراته على جبهات مختلفة كانت وسياته فيها المناظرة والجدل .. تأليف .. والتصنيف ..

مؤلفاته :

لو تصدينا لعدد مؤلفاته وحصرها لوجد أنها تزيد على السبعين مؤلفاً منها ما رأى النور، ومنها ما لا يزال مخطوطة .. من مؤلفاته :

- ١ - تهافت الفلاسفة.
- ٢ - مقاصد الفلاسفة.
- ٣ - عقيدة أهل السنة.
- ٤ - فضائح الباطنية.
- ٥ - فصول الفرق بين الإسلام والزندقية.
- ٦ - تنزيه القرآن عن الطاعن.
- ٧ - الخير المسبوك في تصحيح للشوك.
- ٨ - مكاشفة القلوب.
- ٩ - المنقذ من الضلال.



## حجة الإسلام الغزالي مؤلفاً ومجدداً

نستطيع أن نقسم عمل حجة الإسلام ، إنتاجه وتجديده في ناحيتين :  
الأولى : نقده الفلسفة ومناقشته لها ، وحججه لعلم الكلام الذي فقد جدته وحياته .

الثانية : « الحجة » على المجتمع الإسلامي المعاصر ، والدعوة إلى الأخلاق الإسلامية ، والروح ، والتعالي بالخلفاء .

ويمثل الناحية الثانية كتابه العظيم « إحياء علوم الدين » ، وقد صنف الغزالي هذا الكتاب ، وقد خرج من بغداد في طلب السعادة واليقين واشتغل بالعبادة والمجاهدة والانقطاع عن الناس . الغزالي إذ ذاك مصلح اجتماعي يخلص جزءاً من كتابه بذيء الغرور يذكر فيه أصناف المقتربين ، و يفرق كل صنف ، ذكر منهم المقتربين من أهل العلم ، و فرقههم ، والمقتربين من المتصوفة ، والمقتربين من أرباب الأموال و فرقههم ، وقد ذكر مناقذ الشيطان ومداخل النفس في هذه الطبقات وأصنافها وذكر من أفكارهم ومزائجهم وعندهم النفسية ما لا يطلع عليها إلا علم كبير من علماء النفس<sup>(١)</sup> .

وقد انتقد العلماء والمشتغلين بالعلم في غلوائهم في الإكثار من الجزئيات الفقهية ، والخلافات ، والكلام ، والجدل ، والتمسك في العلوم الآتية : كالنحو واللغة ، والشعر والتاريخ ، والاهتمام به .

( ١ ) أبو الأمل الموحدي - حجة الإسلام الغزالي .

١٠ - ميزان العمل .

١١ - إلهام العوام عن علم الكلام .

١٢ - إحياء علوم الدين .

١٣ - الوسيط في علم الفقه .

١٤ - البسيط في علم الفقه .

١٥ - الوجيز في علم الفقه .

١٦ - الخلاصة في علم الفقه .

إلى غير ذلك من كتبه التي تصدت لحصرها قوائم الكتب والمخطوطات .





وانتقد الصوفية : بالاكفاء بحفظ أقوال المشايخ وأخبارهم ولا حظ أن هذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها .

فأما علم الطب والحساب والصناعات ، وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع ، فلا يعتقد أصحابها أنهم يتلون المغفرة بها من حيث إنها علوم ، فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع .

ولقد ذكر من التباسات الصوفية ومبالغتهم شيئاً كثيراً يدل على إنصافه وتدقيقه .

وقد ذكر عن المغترين من أرباب الأموال طرائف وحقائق تدل على النظر العميق والفهم الديني الصحيح .

وتجمل لنا ذلك من خلال حديثه عن غرور العامة وطوائف من الأغنياء والفقراء ، مما يحول دون « التوبة » ويعد المسلم عن الصراط المستقيم ويمنح للشيطان أن يستحوذ عليهم وينسبهم ذكر الله ، فيصبحوا من حزبه !! وها هو ذا يفتح باب التوبة لكل هؤلاء وأولئك ليكونوا جميعاً على صراط مستقيم ، طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين . وإذا كان الإمام الغزالي قد حمل الغرور أس المهلكات فقد جعل التوبة على رأس المنجيات .

ويظهر الغزالي مصوراً حاذقاً يتناول بريشته البارعة بجمع عصره فيصور مخالبه وقسمات وجهه ويحسم وقائمه ونجاعيده ويظهر في ذلك كله ذكاءً وسعة اطلاع ، ودقة ملاحظته وبراعة تصويره وسلامة تفكيره .



## منهج التحقيق

- قدمت للكتاب ، وعلفت عليه بما يتيح لغيره المسلم معرفة أنواع الذنوب ومكفراتها وبيء له كيف يتوب منها .
- قسمت أركان الكتاب الأربعة إلى فصول ، وبذلت جهدي في اختيار العناوين الملائمة لها ليتسنى الإلمام بها ، والانتفاع بكل ما جاء فيها .
- وضعت على مدخل كل ركن « مرآة » رى فيها القاريء ما تضمنه ذلك الركن من أفكار ونقاط .
- قدمت للقاريء بياناً تفصيلياً بالذنوب التي منها تتوب مع أقسام الناس في الآخرة طبقاً لما تناولته الإمام الغزالي مما يساعد القاريء على الإلمام بالموضوع ، ويثير فيه مزيداً من الشوق إلى استيعابه على الوجه الأكمل .
- أخرجت الكتاب في صورته اللائقة وجملته في متناول الجميع ، ليسهل تداوله ، والاستفادة مما تناولته .
- وها هو ذا ينظم إلى « إخوة له » من ربه حجج الإسلام الغزالي أصلها مكتبة القرآن .
- الزواج الإسلامي السعيد .
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى .
- أصناف المغرورين .
- بداية الهداية .
- الأذكار والدعوات .



## مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي بحمده يستفتح كل كتاب ، وبذكره يهدى كل خطاب ،  
وبحمده يتعمم أهل التعميم في دار التواب ، وباحمه يتسلى الأشقياء وإن أُرْحِي  
دونهم الحجاب ، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة  
وظاهره من قبله العذاب .

وتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ، ومسبب الأسباب . ونرجوه  
رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب . ونخرج الخوف برجائنا مزج من  
لا يرتاب أنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب .

ونصل على نبيه محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه ، صلاة تنقذنا من هول  
المطلع يوم العرض والحساب ، ونحمد لنا عند الله زلفى وحسن مأب .

## مبدأ طريق السالكين

أما بعد . فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى سائر العيوب وعلام  
العيوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام المرئيين ؛  
ومفتاح استقامة الماتلين ، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ، ولأينا آدم  
عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين . وما أجدر بالأولاد الاقتداء  
بالآباء والأجداد ، فلا غرو أن أذنب آدمي واجترم<sup>(٢)</sup> فهي شينينة يعرفها من  
أخترم<sup>(٣)</sup> ، ومن أشبه أباه فما ظلم ولكن الأب إذا جبر بعدما كسر وعمر بعد  
( ٢ ) اجترم : ارتكب قبيحاً وعزماً .

( ٣ ) الشينينة : الطيمة والمعدة . وهي بكسر الشين الأول والفتحة . وكان أخرم عاقاً لأنه قعدت ،  
فولدت أولاده على جندهم فأممهم فقال : إن نبي خرجوني بالنم . و شينينة أمرفها من لكرم . فأنسج  
الشطر الثال من البيت مثلاً يضرب في قرب الشبه . ( يجذب صمم الأمثال ) .

أن هدم ، فليكن النزوع إليه في كلا طرفي النفي والإثبات ، والوجود والعدم  
ولله قرع آدم سن الندم ، وثقم على ما سئل منه وتقدم . فمن اتخذ قدوة في  
الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم . بل التجرد لمحض الحزم وأب الملائكة  
المقربين ، والتجرد للشر دون التلاقي سحبة الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد  
الوقوع في الشر ضرورة الآدميين . فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك  
الديان ، والمتجرد للشر شيطان ، والمتلاقي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة  
إنسان فقد ازدوج في طينة الإنسان شائبان ، واصطحب فيه سجتان . وكل  
عبد مصحح نسيه إما إلى الملك ، أو إلى آدم ، أو إلى الشيطان . فالتائب قد أقام  
البرهان على صحة نسب إلى آدم بملازمة حد الإنسان . والمعسر على الطغيان  
مسجل على نفسه بنسب الشيطان .

فأما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فمفارج عن حيز  
الإمكان ، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنأ محكماً ، لا يخلصه إلا  
إحدى الثارين ، نار الندم أو نار جهنم . فالإحراق بالنار ضروري في تخليص  
جوهر الإنسان من عباث الشيطان ، وإليك الآن اختبار أهون الثارين ،  
والمجادرة إلى أخف الشرين ، قبل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار  
الاضطرار ، إما إلى الجنة وإما إلى النار !!







## تمهيد

إذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع ، وجب تقديمها في صدر ربح للنجيات بشرح حقيقتها ، وشروطها ، وسببها ، وعلامتها ، وثمرتها ؛ والآفات المانعة منها ، والأدوية الميسرة لها . ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان :

**الركن الأول :** في نفس التوبة ، وبيان حدها ، وحقيقتها ، وأنها واجبة على الفور ، وعلى جميع الأشخاص ، وفي جميع الأحوال ، وأنها إذا صحت كانت مقبولة .

**الركن الثاني :** فيما عدا التوبة ، وهو الذنوب ، وبيان انقسامها إلى صغائر وكبائر ، وما يتعلق بالعباد ، وما يتعلق بحق الله تعالى ، وبيان كيفية توزيع الدرجات والدركات على الحسنات<sup>(١)</sup> والسيئات ، وبيان الأسباب التي بها تعظم الصغائر .

**الركن الثالث :** في بيان شروط التوبة ودوامها ، وكيفية تدارك ما مضى من الظالم ، وكيفية تكفير الذنوب ، وبيان أقسام التائب في دوام التوبة .

**الركن الرابع :** في السبب الباعث على التوبة ، وكيفية العلاج في حل عقدة الإصرار من المذنبين وهم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل .

(١) لأهل الجنة درجات على الحسنات . كما أن لأهل النار درجات على السيئات وقد جاء القرآن بهذا ﴿ إن المظالم في الدرك الأسفل من النار ﴾ . ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ [الأحزاب : ١٩] .

## الركن الأول

### في نفس التوبة

- بيان حقيقة التوبة وحدها .
- بيان وجوب التوبة وفضلها .
- بيان أن التوبة واجبة على الفور .
- بيان أن التوبة واجبة على جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال .
- بيان أن التوبة إذا استجمعت شروطها فهي مقبولة لا محالة !!



## الفصل الأول

### بيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى يتنظم ويتلوه من ثلاثة أمور مرتبة : علم ، وحال ، وفعل . فالعلم الأول ، والحال الثاني ، والفعل الثالث ، والأول موجب للثاني ، والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاه امر مرسى الله في الملك والملكوت .

أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب . كونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب . فإذا عرف ذلك معرفة محقة . يسر غالب على قلبه ، ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب . فإن قلباً مهما شعر بفوات محبوبه تألم . فإن كان قوته بقوله تأسف على الفعل المنقوت ، فيسمى تألمه بسبب فعله المنقوت محبوبه ندماً . فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى ، انبعث بالحال ، وبالماضي ، وبالاستقبال . أما تعلقه بالحال ، مستترك للذنوب الذي كان ملازماً وأما بالاستقبال ، فبالعزم على ترك الذنوب المنقوتات للمحسوب إلى آخر العمر . وأما بالماضي ، فيتلافى ما فات بالخير والقضاء ، إن كان قابلاً للخير فالعلم هو الأول . وهو مطلع هذه الخيرات . وأبغى بها العلم الإيمان واليقين . فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب سموم مهلكة ، واليقين عبارة عن تأكيد هذا التصديق ، وانتفاء الشك عنه ، واستيلاءه على القلب ، فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب ناز الدنم . فيتلم ما القلب حيث يصير بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوباً عن محبوبه ، كس بشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة ، فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب ، أو انقصار حجاب ، فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك ، فتشعل نيران الحب في قلبه ، وتنبعث تلك النيران بإرادته للانتهاض للندارك .

معها وسدده ، واعتد استغفر بالشرك في الحان والاستقبال . والثاني  
سبغ . ثلاثة مع . مرتبة في الحصول ، فيطلق اسم التوبة على مجموعها  
وكثيراً ما يفسر سه اسم على معنى للدم وحده ، ويجعل العلم كالساق  
والجذع ، والشرك كالثمرة والتابع المتأخر . وهذا الاعتبار قال عليه الصلاة  
والسلام : " التَّائِبُ تَوْبَةً ، يَدُ لَا يَحِلُّ الدَّمُ عَنْ عِلَّةِ أَوَّجِهِ وَأَثَرِهِ ، وَعَنْ عَرَمِ  
بَعْدِهِ وَيَسْوِهِ ، فَيَكُونُ الدَّمُ مَحْصُوفًا بِطَرَفِهِ ، أَعْيَى ثَمَرَتِهِ وَمَشْمَرِهِ . وَهَذَا الْإِعْتِبَارُ  
قَبْلُ فِي حَدِّ التَّوْبَةِ أَنَّهُ ذَوْبَانُ الْحَشَا لِمَا سَبَقَ مِنَ الْخَطَاةِ . فَإِنَّ هَذَا يَتَرَحَّصُ  
عَرْدَ الْأَمِّ . وَبَدَتْ قَبْلُ هُوَ دَارُ فِي الْقَلْبِ تَنْهَبُ ، وَصَدْعُ فِي الْكَبِدِ  
لَا يَشْعَبُ ' . وَبَعْدَ ذَلِكَ مَعْنَى التَّوْبَةِ فِي حَدِّ التَّوْبَةِ إِيَّاهُ خَبَعَ لِبَاسُ الْجَمَاعَةِ  
وَبَشَرُ بَسَاطَةِ الْوَدْعِ . وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّائِبُ التَّوْبَةُ تَبْدِيلُ الْحَرَكَاتِ  
الْمَدْمُومَةِ بِالْحَرَكَاتِ الْمَهْمُومَةِ . وَلَا يَمُكُّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَيَاةِ ، وَالصَّبْرِ ، وَكُلِّ  
الْخَلَالِ . وَكَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَى الْمَعْنَى الثَّلَاثِ مِنَ التَّوْبَةِ

وَالْأَوَّلُ فِي حُدُودِ التَّوْبَةِ لَا تَنْحَصِرُ . وَإِذَا فَهَيْتَ هَذِهِ الْمَعْنَى الثَّلَاثَةَ ،  
وَتَلَاوَمَهَا وَتَرْتِيبَهَا عَرَفْتَ أَنَّ جَمِيعَ مَا قَبْلُ فِي حُدُودِهَا قَاصِرٌ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِجَمِيعِ  
مَعَانِيهَا . وَطَلَبَ الْعِلْمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ أَهَمُّ مِنْ طَلَبِ الْأَعْيَادِ عَرْدَهُ



( ٥ ) حديث الدم بوبه : من دمه وإن حياك والحاكم وصحيح استاده من حديث ابن مسعود ورواه ابن  
حيان وذكره من حديث أبيه وقال صحيح على شرط الشيخين  
( ٦ ) حريمه  
( ٧ ) الصدع الشق ، والانشقاق ، الانشقاق



## الفصل الثاني

### بيان وجوب التوبة وفضلها

أعم أن وجوب التوبة صاهر للأخبار والآيات . وهو واضح من  
الصورة عند من اعلم بخصايصه ، وشرح له سر الإيمان صوره حتى اعلم  
عن أن يسمى سورة الذي من يديه في طمس جهنم ، معباً عن ذلك بمؤدته  
في كل حصوه . فإسألته إم أعمى لا يستغفر عن فائده في حصوه ، وما شير  
يهدى إلى نور . فصرته ثم يهدى نفسه . وكذا في صريح معنى  
يتسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقف عن محبة نفسه في حصوه ،  
يفقر إلى أن يسمع في كل دمه صاعاً من كذبة تأسف رسوبه ، وما يحوره  
ذلك فيتحور . فسور هذا وإن طال عمره وعبد جده مختصر ، وخطاه قاصره .  
ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام ، فهو عن نور من ربه ، فبنته بأدنى  
إشارة لسلوك طريق معوضة ، وقطع عقبات متعبة . ويشرق في قلبه نور القرآن  
ونور الإيمان . وهو لشدة نور باطنه يخترقه . فإني بيان ، فكأنه يكاد زيته يضيء  
ولو لم تمشته نار . فإذا مشته نأز فهو نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء  
وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة .

( ٨ ) حديث الأخبار العامة على وجوب التوبة : مسلم من حديث الأخر المزني بإيه الناس توبوا إلى الله  
الحديث : ولأين دمه من حديث جابر بإيه الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا . الحديث : وسنة  
صحيح

## ماذا يفعل من أراد أن يعرف وجوب التوبة ؟

فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة ، فليطوّل أولاً بنور البصيرة إلى التوبة ما هي ، ثم إلى الوجوب . معناه : ثم يسمع بين معنى الوجوب والتوبة . فلا يشتد في ثبوته . ذلك بأن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد ، والنجاة من هلاك الأبد ، فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه ، لم يكن لوصفه بكونه واجباً معنى . وقول القائل صواب واجب بالإيجاب حديث محض . فإن ما لا غرض لنا أجلاً وعاجلاً في فعله وتركه ، فلا معنى لاشتغاله به أو جبهه عليها غيرنا أو لم يوجبه . فإدراك عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد ، وعلم أن لا سعادة في دار البقاء إلا في رضا الله تعالى . وأن كل محبوب عنه يشتق لا محالة ، بحول بينه وبين ما يشتهي ، يخترق بند الفراق . فالحجج وعدم أنه لا مبعث عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات . لأن الله تعالى . ولا كتاب عن حب ما لا يد من فراقه قطراً ، وعلم أنه لا مقرب من رضا الله ، لا يقع علامة لقب عن رحمة هذا العالم ، والإقبال بالكنية على الله تعالى لأنس به بدوام ذكره ، وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته .

## لزوم التوبة للعبد

وعلم أن الذنوب التي هي إغراض عن الله ، واتباع خباب الشياطين أعداء الله المبشرين عن حضرة ، سبب كونه محجوباً مبعداً عن الله تعالى . فلا يشتد في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب . وإنما يتم الانصراف بالعلم ، والدم ، والعزم فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن

المحبوب لم يدم ، ولم يتوحد بسبب صغرك في طريق العبد . وما لم يوحج به يرجع . ومعنى الرجوع الترتب والعدم فلا مست في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب . وهكذا يكون الإلهام الحاصل عن نور البصيرة . وأن من لم يترشح مثل هذا انقضاء المرتجع دروته في حلول أكثر الحلول ، فهي والاتباع له مجال رتب ، يتوصل به إلى السعادة من الهلاك ، فليلاحظ فيه قول الله ، وقول رسوله . « قُلْ لِّلصَّالِحِينَ . فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَتَوَنُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ » وهذا أمر على العموم . وقال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوَنُّوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً ﴾ الآية . ومعنى النصوح حاله لله تعالى حالاً عن شوائب مأخوذ من الصبح . ويدل على معنى توبته قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ . وقيل عليه « سلام » . الثالث حيث الله والثالث من الذنوب كمن لا ذنب له .

## فرح الله بتوبة العبد

وقال رسول الله ﷺ : « الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من دخل نزل في أرض قذرة مهلكة » <sup>(١١)</sup> . ففرح الله بتوبته طمأنينة وشرائه فوضع رأسه فنام

(٩) البر ٢١

(١٠) التجرم ٨

(١١) البقرة ٢٢٢

(١٢) حديث الثالث حبيب الله والثالث من الذنوب كمن لا ذنب له : ابن ماجه من حديث ابن مسعود بالخط الثاني دون الأول وإنما الخط الأول مروى في تاريخ الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب القرب من حديث أنس بن مسعود « إن الله يحب المتطهرين » ولعل الله بن أحمد في زوائد المستند وأبو يعلى بن عبد الله من حديث علي « إن الله يحب العبد المؤمن يغفر الذنوب » .

(١٣) حديث في الفرح بموت المؤمن من رجل يرد في أرض غلاة قذرة مهلكة - الحديث - مضمّن عليه من حديث ابن مسعود وأنس بن مالك في حديث أنس لم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبي وأنا ربك أعطني من شدة الفرح ورواه مسلم بدوون هذه الزيادة من حديث الثعلبي بن بشر ومن حديث أبي هريرة مختصر

(١٤) سورة الفاتحة ، والفاتحة الواقعة ،

نَزَمَةٌ فَاسْتَقِظَ وَقَدْ دَهَتْ رَاحِلَتُهُ فَطَلَبَهَا حَتَّى إِذَا اسْتَقْدَّ عَلَيْهِ الْخَرُّ وَالْمَطَرُ  
أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى مَكَائِي الَّذِي تَخُتُّ فِيهِ فَأَنَامَ حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ  
رَأْسَهُ عِنْدَ سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَقِظَ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ عَلَيْهَا زَاذَةٌ وَضَرَابَةٌ فَاللَّهُ  
تَعَالَى أَشَدُّ قَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا يَرَا جَلِيلِهِ ، وَفِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ قَرِ  
مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِ ، إِذَا أَرَادَ شُكْرَ اللَّهِ ، أَنَا رَبُّكَ وَأَنْتَ عَبْدِي

ويروى عن الحسن قال : لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام : هاتته  
الملائكة . وهبط عليه جبريل وميكائيل عندهما السلام . فقالا يا آدم قرئت عليك بتوبة  
الله عليك . فقال آدم عليه السلام : يا جبريل ، من كان بعد هذه التوبة سؤال  
فأين مقامي ؟ فأوحى الله إليه يا آدم ، ورثت ذريتك التعب والعصب ، وورثتهم  
التوبة . فمن دعاني منهم ليت كما ليث ، ومن سألتني المعفرة لم أخل عليه ، لأن  
قريب محبوب يا آدم ، وأحشر الناس من القبور مستبشرين صاكرين ،  
ودعائهم مستجاب . والأخير والآخ في ذلك لا تحصى ، والإجماع معقد من  
الأمّة عن وجوبها ، إذ معناه العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من  
الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ، ولكن قد تدهش الخلة عنه فمعنى  
هذا العلم إزالة هذه المعلقة ، ولا خلاف في وجوبها .

ومن معانيها ترك المعاصي في الحال ، والتمس على تركها في الاستقبال ،  
وتلارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال ، وذلك لا يشك في وجوبه وأما  
الندم على ما سبق ، وسحره عليه . فوجب وهو روح التوبة ، وهو تمام  
الطلاق فكيف لا يكون وحياً ! بل هو نوع أم يحصل لا محالة ، عقب حقيقة  
المعرفة بما فات من العمر وصاح في سخط الله

فإن قلبه نادم فبأنه لا بد من ندم تحت الاحتيار ، فكيف  
يوصف بالوجوب ؟

فدعنا أن سببه تحقيق العلم بدوام المحبوب وأنه سبيل إلى تحصيل منه  
ومثل هذا المعنى دخل العلم تحت وجوب ، لا معنى أن الندم يحمله العبد

ووجدته في نفسه ، فإن ذلك محال . بل حسبه والندم ، ويعمل ، والإله .  
والقدرة ، والقاهرة ، الكل من حسبه ومعنه **والله خلقكم وما  
تعملون** <sup>(١)</sup> هذا هو الحق عند قوى بصائر ومسيرى هه صلا

## بحث في أفضل العبد وهل له اختيار

فإن قلب أُنس للعبد الحبيب ، فعل والحرّك ؟ قد معه وودك  
لا يافض قوماً إن الكل من حسن الله به . بل الأحب أيضاً من حب الله  
والعبد مضطر في الاختيار الذي به فإنه لا بد من الله الصحيحة ، وحق  
العدم السديد ، وحق الشهوة المنفعة في هذه ، وحق العلم في حب الله  
العدم بسبب الشهوة ، وحق خواص المعرفة في أن هذا الضم هو فيه  
مصرة مع أنه بسبب الشهوة ، وهو دون ما به منع يعبر معه تأويله ثم لا ، ثم  
حق العلم بأنه لا مانع ، ثم عند الاحتياج منه لأسباب سحر لإرادة الدعته على  
النول فاعرف الإرادة بعد تردد الخواص المتعارضة وبعد وقوع الشهوة  
لنظمه يسمى اختياراً ، ولا بد من حصة عدم أسسه فإذا حصل حرام  
الإرادة بخلق الله تعالى يده ، تحركت أسه صحيحة بر حجة النظم لا محالة  
إذ بعد تمام الإرادة والقدرة ، يكون حصل العلم ضرورياً فتحصل الحركة ،  
فيكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة والحرارة ، وهما أيضاً من  
خلق الله . وحرام الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم المنوع ،  
وهما أيضاً من خلق الله تعالى . ولكن بعض هذه محمولات يترتب على البعض  
قريناً جرت به سنة الله تعالى في خلقه . ليس بعد سنة الله تدبلاً ، فلا يحسن الله  
حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيه صفة تسمى قدرة ، وما لم يخلق فيه  
حياة ، وما لم يخلق لإرادة مجزومة ، ولا يخلق الإرادة المجزومة ما لم يخلق شهوة

ومثلاً في النفس ولا يصح هنا الميل لثبوتنا تأخره لم يخلق عند تأخره موافق  
لنفسه، بل في الخلق أو في مآله ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب أخرى  
ترجع إلى حركة وزرعه وعلم والميل الطبيعي أي بما يستوعب الإرادة  
الجارية، والقدرة والإرادة مبدأ سرور الحركة، وهكذا ترتيب في كل  
فعل. ولكن من اختراع الله تعالى. ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض.  
عندئذ يجب تقدم البعض وتأخر البعض، كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم.

العبارة بقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(١١)</sup> وعن القضاء الكللى الأربى العبارة بقوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾<sup>(١٢)</sup> وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر. ومن حلة القدر خلق حركة في يد الكاتب، بقدر خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جائز في نفسه يسمى القصد، وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمنفعة.

(١٧) القاموس ٤٩

7A

[illegible][illegible]

وَعَلِمَ أَن جَمْعَهُ مِنَ الْمَعْيَبِ وَقَدْ جَعَلَهُ فِي هَيْئَةٍ يُؤْبَىٰ إِلَيْهَا ۚ فَلَوْلَا إِذْ سَمِعَهُ بِهِنَّ يَأْتِيَنَّهُنَّ الْغَيْبُ وَهُوَ غَافٍ لَا يَدْرِي

٧ الأضواء



من مشاهدته ومعرفة بالمشي الذي تقدر عليه، فمعرفة فسادنا وفسادنا إلى  
 سرور مودع به نفس حسنة عن رحمة وودع به بعصبه على نابه، وودع به  
 بعصبه على أذنه فمدر فمدر عروقه فمدر عروقه فمدر عروقه فمدر عروقه،  
 وحسب أخوتهم فمدر على من رحل إلى من رحل إلى من رحل إلى من رحل إلى من  
 حسنة صهر، إلا أنه ليس من مودع على من رحل إلى من رحل إلى من رحل إلى من  
 هو حسنة لا من فيه، وأمس لا حسنة فيه، وليس في عطف لأصوبه  
 فمدر، من هو من عود وودع على من رحل إلى من رحل إلى من رحل إلى من  
 حسنة فمدر أحدهم فيه، ولكن من مودع على عود، ولا هو من  
 مصوبة، بل هو من حسنة فمدر عطف ولكن واحد من هؤلاء صدق من  
 وجه، إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة غير، وهو حرج واحد في حبه  
 عن وصف العبد، ولكنه حسنة فمدر، عن إحسانه كنه صدقة عن  
 احتصر هذا المثال وعبر به، فيه من آثاره حسنة من فيه، وبك  
 هذا كلاماً يسلط علوم المكاشفة ويخرج أمر حب، من حيث من عرف

## وجوب التوبة بجميع أجزائها

فليرجع إلى ما كنا بصدده وهو بلاد أد التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة،  
 العبد، والدم، والترك، وأن الله دحل في الوجوب، كونه واقفاً في جهة  
 أعمال الله المحصورة بين علم العبد، وأدته، وقدرته المتحللة بها، وما هذا  
 وضعه فاسم الوجوب يشملها.



## الفصل الثالث

### بيان أن وجوب التوبة على الفور

أما وجوبها على الفور فلا يستتاب فيه، إذ معرفة كون المعاصي مهلكات  
 من نفس الإيمان، وهو واجب على الفور، وامتنع عن وجوبه هو الذي عرفه  
 معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه. فإن هذه المعرفة ليست من علوم  
 المكاشفات التي لا تتحقق بعمل، بل هي من علوم المعاملة. وكل علم يراد  
 ليكون باعثاً على عمل فلا يقع لتقصي عن عهده ما لم يضر باعثاً عليه. فالعلم  
 بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثاً على تركها فمن لم يتركها فهو باقيد لها  
 اجرة من الإيمان. وهو أراد بقوله عليه السلام (١) "لا يؤمن الزاني حين  
 يزني وهو مؤمن" وما أراد به نفس الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكاشفة،  
 كاحسن بالله، ووحدانيه، بصافته، وكنه، ورسنه، فرب ذلك لا يفي به تركها  
 والمعاصي. وإنما أراد به نفس الإيمان لكونها مبعداً عن الله تعالى. موجياً  
 لسقته. كما إذا قال الطبيب: هذا سم فلا تتلوه فإذا تناولته يقال تناول وهو  
 غير مؤمن، لا معنى أنه غير مؤمن بوجوده حسب، وكونه صيباً وغير مصدق  
 به. بل المراد أنه غير مصدق بقوله إنه سم مهلك. فإن العالم بالسم لا يتلوه  
 أصلاً. فالمعاصي بضروره باقصة الإيمان. وأمس الإيمان من واحد، بل هو  
 سب وسبعون باباً، أعلاها شهادة لا إله إلا الله، وأدناها إمامه الأدنى عن  
 الصريح. ومثاله قول القائل: ليس إلا بيسن موجداً واحداً، بل هو نيف  
 وسبعون موجداً، أعلاها القلب والروح وأدناها إمالة الأذى عن البشرية،  
 بأن يكون مقصود الشارب، مقلوم الأضفار، نفس البشرية من الخبث، حتى

(٢٠) حديث لا يؤمن الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة

يسمى عن اليهائم مرساة الموت بآرائها المسكنة الصو بطور محالها  
وأنظاري

وهذا مثال مضائق الإيمان كالإيمان وفقدان شهادة التوحيد يوجب  
البطلان بالكلية كفقده الروح ، والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو  
كإنسان مقطوع الأطراف مفقود العينين ، فاقد لجميع أعضائه الباهنة  
والطاهرة ، لا أصل الروح . وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت ، فزايده  
الروح الصحيمة ، المنردة ، التي تخلف عنها الأعضاء التي عدها وتقريبها ،  
فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان ، وهو مقصر في الأعمال ، قريب من أن  
تقتلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة ، الحركة للإيمان في مقدمة قدوم  
موت الموت ووروده . فكأن إيمان لم يثبت في اليقين أصله ، ولم تنتشر في  
الأعمال مروه ، لم يثبت على عواصف الأحوال عند ظهور ناحية ملك  
الموت ، وخيف عليه سوء الخاتمة ، لا ما يستحق بالطاعات على توالي الأيام  
والساعات ، حتى وسخ وثبت . وقول العاصي للمطيع : إني مؤمن كما أنت  
مؤمن ، كقول شجرة القرم لشجرة الصوبير أو شجرة وأنت شجرة  
وما حسن جواب شجرة الصوبير إذ قالت : ستعرفين غترارك بشمول الاسم  
إذا عصفت رياح الخريف ، فعند ذلك تنقطع أصولك ، وتنتثر أوراقك ،  
ويتكشف غرورك بالمشاركة في أسم الشجرة مع العدة عن أسباب ثبوت  
الأشجار .

وسوف ترى إذا انجلي الغبار - أفرسك لعتك أم جمار  
وهذا أمر يظهر عند الخاتمة . وإنما تنقطع نياط العابدين خوفاً من دواعي الموت  
ومقدماته الخائفة ، التي لا يثبت عليها إلا الأقلين . بالعاصي إذا كان لا يخاف  
الموت في الغار بسبب مصيته ، كالصحيح المنهك من الشهوات المصرة إذا كان  
لا يخاف الموت بسبب صحته . وإن الموت غالباً لا يقع فجأة ، فيقال له :  
الصحيح يخاف المرض ، ثم إذا مرض يخاف الموت وكذلك العاصي يخاف سوء



لخدمة ، ثم يد حتم به بالسوء والحدود لله سبحانه في النار فالعاصي بالإيمان  
كأماكولات المنصبة بالأيدي ، فلا تزال حية في الدار حتى تغير مرجح الأحوال  
وهو لا يشعر بها ، إلى أن يفسد المرجح . يفسد دونه ، ثم يموت دفعه . وكذلك  
العاصي فإذا كان الخائف من الهلاك هذه الدنيا بقضية عابثة  
السموم ، وما يصور من المأكولات في كل من . يعنى العور ، فالحال من هلاك الأبد  
أولى بأن يجب عليه . وإذا كان متجاوزاً الله إذا ندم يجب عليه أن يتقياً ، ويرجع  
عن تكملة بإبطاله وإخراجه عن المعده . من سبيل العور والفاخرة ، ثلاثاً يهذه  
استرف على هلاكه لا يفوت عليه إلا هذا . سبب العدة ، فتتأول سموم الدين وهي  
الدنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عن اعتدائه الصلح ، ما دام يبقى للتدراك  
مهلة وهو العمر ، فإن اغترب من هذه . قوب الأجرة الباقية ، التي قد سعيه  
المقيم ، والملك العظيم ، وفي عر . سبب حليم ، وعباد المقم الذي نصروه  
أضعاف أعمار الدين دون عشر عشر . يد يس منه حر أئنته هاليسر  
للبدن إلى القوة ، قبل أن تعمل سموم السموم بروح الإيمان عملاً يحذر الأمر فيه  
الأطباء واختيارهم ، ولا يقع بعده الامتناء ، فلا يندفع بعد ذلك نصيح  
الصالحين ، ويعطى الرغبتين ، وتحم الكعب عليه بأنه من الهالكين ، ويحل تحب  
عموه قوة تدن . إنا جعلنا في أديهم أعلا لا يهي إلى الأدفان لهم  
مُفْتَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سِدًّا وَخَلْفَهُمْ سِدًّا فَاغْشَوْهُمْ فَهُمْ لَا  
يُبْصِرُونَ وَسَاءَ عَنِّيهِمْ أَكْذَابُهُمْ ثُمَّ كَذَّبْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ولا يعرفون  
نعم الإيمان فتقول المراد بآية الكفر . يد يد أن إيمان صعب وسعور  
باباً ، وأن الزاني لا يرى حيث يرى وهو يؤمن . فالحجوب عن الإيمان الذي هو  
شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن إيمان الذي هو أصل . كما أن الشخص  
المعاند لجميع الأطراف التي هي حروب وفروع ، يسبق إلى الموت . المعلم  
للروح التي هي أصل ، فلا بناء للأمر دون المزمع ، ولا وجود للفرع دون

(٢٠) من ٩٠٨ .

### الفصل ١٠

## أن وجوب لتوبة عام ، ولأن حوطاً فيه ينفك عنه أحد البتة

قد قد عر . يد قد تدن . وثوبوا إلى الله  
مُكْتَفِحُونَ ﴿٢١﴾ . سم الخلدات . وبور البصيرة أيضاً  
وهو الرجوع عن الذي سجد عن لك ، مغرب من

لا من عاقب ، ولا تدن . عر . يد قد تدن . وثوبوا إلى الله  
مُكْتَفِحُونَ ﴿٢١﴾ . سم الخلدات . وبور البصيرة أيضاً  
وهو الرجوع عن الذي سجد عن لك ، مغرب من  
جنود الملائكة . فإذا جمع قام القتال بينهما بالضرورة ،  
لأنهما لا يمانعان . التطارد بينهما كالتطارد بين الليل  
والنهار . ومهما علب أحدهما أزعج الآخر بالضرورة . وإذا  
أهل في الصبا والشهوات قبل كمال العمل ، فقد سبق جنود  
على المكابح ، ووقى للقلب به أنس ، وألف لالهة  
بالعده . وغيب قلبه عنه ، ويحسر عليه الروح عنه . ثم  
و حرب الله وجنته . وبعد أولياته من أيدي أعدائه شيء  
فإن لم يبق ولم يحسب . سلبت ملكة القلب للشيطان ،

الأصل ، ولا فرق بين الأصل والفرع إلا في شيء واحد ، وهو أن وجود الفرع  
وغايه جميعاً يستدعي وجود الأصل ، وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود  
فرع معه الأصل بالفرع ، ووجود الفرع بالأصل ، فعلوم المكاشفة وعلوم  
المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والأصل ، فلا يستغنى أحدهما عن الآخر ، وإن  
كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة السطح ، وعموم المصنف إذ لم يكن  
باعثاً على العمل فعدمها غير من وجودها فإن هي لم تعمل عملها الذي نرد  
له . قامت مؤيدة للحجة على صاحبها . ولذلك يزداد في عذاب العالم العاقر على  
عذاب الجاهل العاقر . كما أوردنا من الأخبار في كتاب العلم



## الفصل الثاني

بيان أن وجوب التوبة عام

في الأشخاص والأحوال فإن ينفك عنه أحد البتة

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على أن التوبة عام لجميع الناس  
جميعاً أيها المؤمنون لعنكم أنفسكم كما في آية التوبة وهو الصيغة  
يرشد إليه ، مع أن قوله يرجع عن ذنوبه من الله ، يفرق بين  
شخص .

ولا يتصور ذلك إلا من عرف ، ولا تبت عليه غيره ، ولا تبت  
الشهوة ، والعصب وسائر الشهوات فلهذا هي هي وسائل شيطان إلى  
إغواء الإنسان ، إذ كان العقل إما يكون ما يدرسه لأربعين رأسه في يوم  
عند مراقبة البلوغ ، ومبادئه نصير . من سبع سنين . وسهوات وجود  
الشيطان ، والعقول جنود الملائكة ، فإذا جمعا قام القلب بينهما بالضرورة ،  
إذ لا يثبت أحدهما للآخر لأحدهما ضيقان . فانتظار بينهما كالتصديق بين الليل  
والنهار ، والنور والظلمة . ومهما علي أحدهم أزعج الآخر بالضرورة . وإذا  
كانت الشهوات تكمّل في العباد والشبهات في كمال العجز ، فقد سبق جد  
الشيطان ، واستولى على المكان ، ووقع القلب به أسيراً ، وألف لاهلته  
مقتضيات الشهوات بالمادة . وغلب ذلك عليه ، ويصر عليه الفروع عنه . ثم  
يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنته . ومنقذ أولياته من أيدي أعدائه شيئاً  
مشيقاً عن التدرج ، فإن لم يفر ولم يكر . سمى منك عبثاً للشيطان .

وأمر اللعين موعده حيث قال ﴿لَا تُجِيبُنَّ دُعَاةَ قَوْمِكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وإن كسر العقل وقوى، كان أول شعله قمع حدود الشيطان بكسر جهوت، ومعرفة العادات، ورد الصبح على سبب انقراض النعمات. ولا معنى حسنة إلا هذه، وهو الرجوع عن طريق، دسه الشهوة، وحتمه شيطان، إن صريق الله تعالى وليس في موجود آدمي إلا وسهونه سابقة عن نفسه، وشريرته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملاذثة، فكأن رجوع عبدا سبق إليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل إنسان، نبياً كان أو عبداً، فلا تظن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام. وقد قيل.

فلا تحسبن هنداً لها العذر بعده  
سجدة نفس كل غانية هند

بل هو حكم أنزل مكتوب على جنس الإسم، لا يمكن فرض خلافه ما لم تبدل السنة الإلهية التي لا مطمع في تبديلها. مرد كل من بلغ كافرًا جاهلاً معية التوبة من جهله وكفره. فإذا بلغ مسلماً تبعاً لأبيه، غافلاً عن حقيقة إسلامه، فعليه التوبة من غفلته بفهم معنى الإسلام، فإنه لا يغني عنه إسلام أبيه شيئاً ما لم يسلم بنفسه، فإن فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته وإلمه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف، بالرجوع إلى نسب حدود الله في المنع والإصلاح، والامتناع، والاسترسال، وهو من أشق أبواب التوبة، وفيه هلك الأكثرين، إذ عجزوا عنه. وكل هذا رجوع وتوبة.

فدل أن التوبة فرض عين في حق كل شخص، لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر، كما لم يستغن آدم. فخلقة الولد لا تنسح لما لم يتبع له خلقة الوالد أصلاً.

وأما بيان وجوبها على الدوام، وفي كل حال، فهو أن كل بشر فلا يخلو من معصية يجول روحه. إذ لم يخل عنه الأنبياء، كما ورد في القرآن والأخبار من

خطايا الأنبياء، وتوبتهم، وبكائهم على خطاياهم. فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الغم بالذنوب بالقلب فإن خلا في بعض الأحوال عن الغم، فلا يخلو عن وسوس الشيطان بإيراد الخواطر المشرقة المذهلة عن ذكر الله. فإن خلا عنه، فلا يخلو عن غفلة وقصور في الغم بالله، وصغاته، وأفعده. وكل ذلك نقص. وله أسباب، وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضده، والمراد بالتوبة الرجوع. ولا يتصور الخلو في حق آدمي من هذا النقص، وإنما يتفاوتون في التقدير. فأما الأصل فلا بد منه. ولما قال عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى قَلْبِي حَيٌّ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَتِينَ مَرَّةً﴾، أحسب. ولذلك كرمه الله تعالى بأن قال ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَلَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَتَتَابَعْتَ﴾<sup>(١)</sup> وإذا كان هذا حاله، فكيف حال غيره؟

فإن قلت: لا يخفى أن ما يقرأ على القلب من لحوم والخواطر نقص، وأن الكمال في الخبر عنه، وأن القصور عن معرفة حال الله نقص، وأنه كلما اردادت المعرفة زاد الكمال، وأن الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع، والرجوع توبة، ولكن هذه فصائل لا تراعى، وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال، والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة، إذ إدراك الكمال غير واجب في الشرع. فما المراد بقولك لتوبة واجبة في كل حال؟

فاعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقه من اتباع الشهوات أصلاً. وليس معنى التوبة تركها قطعاً، بل كنهه توبة بتدارك ما مضى. وكل شهوة اتبعها الإنسان لارتفع منها ظلمة إلى قلبه، كما يرتفع عن نفس الإنسان ضمة إلى وجه المرأة الصقيلة. فإن تراكمت ضمة الشهوات صار رباً، كما

(٢٤) حديث أنه لعن على النبي أسطرط في اليوم والليلة مائة مرة: مسلم من حديث الأعرابي إلا أنه قال في اليوم مائة مرة وكلما عد أن يوحى وبالحديث من حيث أتى فمررة إلى أسطرط في اليوم أكثر من مائة مرة وفي رواية البخاري في الشعب مائة مرة يخلو من الأذى والدعوات.

في صير بخار النفس في وجه المرأة عند تراكمه غيباً، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢٧) فإذا تراكم الرين صار طبعاً (٢٨)، فيطبع على قلبه، كالخشب على وجه المرأة إذا تراكم وطال زمانه، غاص في جرم الحديد وأفسده، وصار لا يقبل الصقل بعده، وصار كالمطبوخ من الحبث. ولا يكفى في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل، بل لا بد من محو تلك الأرياف التي انطبعت في القلب. كما لا يكفى في ظهور الصور في المرأة قطع الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل، ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الأرياف. وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات، فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتضحى ظلمة انصبة بنور الطاعة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام (٢٩): «أبج السينة الخمسة تنفحها».

فإذا لم يستغنى العبد في حال من أحواله عن محو آثار السينات عن قلبه، بمباشرة حسنات تصاد آثارها آثار السينات هذا في قلب حصل أولاً صفاته وجلالته، ثم أنظم بأسباب عارضة.

فأما التصقل الأول ففيه بطول الصقل، إذ ليس شغل الصقل في إزالة الصلابة عن المرأة كمشغله في عمل أصل المرأة. فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلاً. وكل ذلك يرجع إلى التوبة.

فأما قولك: إن هذا لا يسمى واجباً، بل هو فضل وطلب كمال، فهاهم أن الواجب له معنيان أحدهما: ما يدخل في خوى الشرع، ويشترك فيه كافة الخلق، وهو القدر الذي لو اشتمل به كافة الخلق لم يخرّب العالم، فلو كلف الناس كلهم أن يحقوا الله حق ثقافته لتركوا المعاش، ورفضوا الدنيا بالكفة. ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية، فإنه مهما فسدت المعاش لم يفرغ

(٢٦) انظر ص ١٤٠

(٢٧) الطبع: نظم، والرين: غيب الوسخ.  
(٢٨) حديث أبي السيرة الحسنة لهما: الترمذي من حديث أن طر زيادة في قوله وآخره وقال حسن صحيح وقد تقدم في رتبة النفس.

يحد للتقوى بل شغل احبائه، والحرقة، والخير يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج إليه، فجميع هذه الدرجات يست بواجبة بهذا الاعتبار.

والواجب الثاني: هو الذي لا بد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين، والمقام المحمود بين الصديقين. واليه من جميع ما ذكرناه واجبه في الوصول إليه. كما يقرر الصهبة واحدة في صلاة الطلوع، أي لمن يريد بها، فيه لا يحصل إليها إلا بها. فأما من وصى بالنفوس والحرمان عن فصل صلاة النصوص، فانصهارة يست واجبة عليه لأجله كما يقال العين، والأذن، واليد، والرجل، شرط في وجود الإنسان. يعني أنه شرط لمن يريد أن يكون إنساناً كاملاً ينتفع بإنسانيته، ويحصل بها إلى درجات العلا في الدنيا. فأما من قبح بأصل الحياة، ورضى أن يكون كالحم على راسه (٣٠)، وكخزلة مطروحة. فليس يشترط من هذه الحجة عن، ويد، ورجل، فأصل الواجبات الداخلة في تقوى العامة لا يحصل إلا إلى أصل السجدة. فأصل النجاة كأصل الحياة، وما وراء أصل السجدة من السعادات التي بها تنقش الحياة، يجرى بحرى الأعضاء والآلات التي بها تنبأ الحياة، وفيه معنى الأنبياء والأولياء والعلماء والأمثل فالأمر، وعليه كان حرصهم، وحوائله كان عند فهم، ولأجله كان رفضهم ملاذ الدنيا بالكلية، حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجراً في ساه، فجاء إليه الشيطان وقال: أما كنت تحركت الدنيا للأخرة؟ فقال نعم وما الذي حدث؟ فقال توسدك لهذا الحجر تنصرف الدنيا، فلم لا ترفع رأسك عن الأرض؟ فرمى عيسى عليه السلام بالحجر، ووضع رأسه على الأرض وكان ربه يحجر توبه عن ذلك السعد. فمرمى عيسى عليه السلام به بعد أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى واجباً متناهي العامة؟

أفترى أن نبيا محمداً ﷺ لما شعلته النيران الذي كان عليه علم (٣١) في

(٢٩) الوضوء: خشية البحر التي يقطع النعم فلوله والفرقة أقدار يملك من أمر نفسه شيئاً  
(٣٠) حديث لزعة كذا الذي كان عليه في الصلاة: تقدم في الصلاة أهد  
(٣١) علم النبوة: رؤيته ورفقه

صلاته حتى نزعه<sup>(٣٢)</sup>، وشعبه شيراك<sup>(٣٣)</sup> نعله الذي جلده حتى أعاد الشرايين الخلق، لم يعلم أن ذلك ليس واجباً في شرعه الذي شرعه لكفة عباده؟ إذ علم ذلك فلم تلب عنه بتركه؟ وهل كان ذلك إلا لأنه رآه مؤثراً في قلبه أثراً يحميه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به؟

أخبرني أن الصديق رضي الله عنه بعد أن شرب الخمر، وعلم أنه على غير وجهه، أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه، حتى كاد يخرج معه روحه، ما علم من العنة هذا القدر، وهو أن ما أكله عن جهل فهو عمر آثم به، ولا يجب في حق من أكله إخراجها فلم تلب عنه بتركه بالتدراك على حسب إمكانه بتجلية العنة عنه؟ وهل كان ذلك إلا لئلا يقر في صدره، عرفه ذلك السر أن قنوى العنة حدث آخر، وأن خطر طريق الآخرة لا يعرف إلا الصديقون؟

فأتمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف بحق الله بالله، وبطريق الله، وبمكر الله، وبممكن الغرور بالله. وإياك مرة واحدة أن تترك الحياة لندبا، وإياك لم إياك ألف مرة أن يترك بالله الغرور<sup>(٣٤)</sup>. فهذه أسرار من استشقى مبادئ روائعها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفاسه، ولو همز غمز نوح، وأن ذلك واجب على العبد من غير مهلة. ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال: لو لم يك العبد ساء بقي من عمره إلا على تفويت ما مضى منه في غير الطاعة، وكان خليفاً أن يخرجه ذلك إلى الممات. فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله! وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة: وصاعت منه بغير فائدة، بكى عليها لا محالة. وإن ضاعت منه وصار ضايعها سبب هلاكه، كان بكاؤه منها أشد. وكل ساعة من العمر، بل كل نفس جوهرة نفيسة، لا تحلب لها، ولا يبدل بها، فإنها صالحة لأي توصلك إلى سعادة الأبد، وتفقدك من شقاوة الأبد. وأي جواهر أنفس من هذا؟ فإذا صيغتها في الغفلة، فقد

(٣٢) حديث نزعه الشراك الجديد وإعادة الشراك الخلق: تقدم في الصلاة أيضاً.

(٣٣) شراك المل: سواد العين من ظهور القدم.

(٣٤) الغرور: بفتح الغين - الشيطان.

حسرت حمران نبيئاً وإن صرفتها إلى معصية، قد هلكت هلاكاً وحشاً. ومن كنت لا تنيكى على هذه معصية، فذلك حيثك ومصيبك بجهلك أعظم. من كل معصية، لكن الجهل بمعصية لا يعرف المصائب بما أنه صاحب معصية. من نوم العلة يحول به وبين معرفته، والناس نيام، فإذا ماتوا لم يجدوا. بعد ذلك يكشف لكل مفلس إفلاسه. ولكل مصابب معصيته. وقد رفع ساس عن التذكار.

قد نعت العارفين: إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد، أعلمه أنه قد بقي من عمره ساعة، وإثنت لا تستأخر عن طرفة عين. فينبو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت الدنيا بمحافرها<sup>(٣٥)</sup> تخرج منها: على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى، ليستحب فيها ويسرك تقريطه، فلا يجد إليه سبيلاً. وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى ﴿وَجِيلَ يَتَنَبَّهْ وَيُنْهَى يَنْتَهُونَ﴾<sup>(٣٦)</sup>، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿مَنْ قُلْ أَنْ يَأْتِيَ أَخَذَ كُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَسْتَفْتِي وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾<sup>(٣٧)</sup> فقبل الأجل قريب سدى يصسه معاه أنه يقول عند كشف العطاء للعبد: يا ملك الموت، أخرجني يوم أعتبر فيه إلى ربّي وأتوب، وأتردد صالحاً لمسى فيقول: فب الأيام فلا يوم. فيقول فأخرجني ساعة. فيقول: فب الساعات فلا ساعة فينلق عليه باب التوبة، فيترعرع بروحه، وتزداد أنفاسه في شر أسفه، ويتجرع عصاة اليأس عن التدارك، وخسرة التذامق على تصحيح العمر، فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال. فإذا زهقت نفسه، فإن كان سبق له من الله الحسنى، خرجت روحه على التوحيد، فذلك حسن لطافة. وإن سبق له القصد بالسفوة ولعبد بالله، خرجت روحه عن الشك والاضطراب، وذبح سوء الحجة. ولعل هذا بعد أن وليت التوبة للذي يعملون السيئات حتى إذا حصر أحدكم الموت قال إني كنت الآن<sup>(٣٨)</sup>. وقوله ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾<sup>(٣٩)</sup> ومعاه عن قرب عهد

(٣٥) محافرها الشيء: أماله ورواحه الواحد حمران وكسر حمر.

(٣٦) ساء: ٥٤ (٣٧) المتأخرون: ١٠، ١٨ (٣٨) الساء: ١٧



مخضبة من سدر عذب ، ويحوت نوره حنة يرددها من أن يتركه ليرى عن  
الذهب فلا يقبل الله

والمسك من تزيين ، أبيض السينة الحسنه ثمنها ، وحدث قد قعد لانه  
يا بلى لا تفرح النوبة ، من الموت إلى بعته ومن ترك استودع إلى النوبة  
مالتويف كان بين حصرين عصبي أحدهما أن تتركه نظمه على قلبه من  
مصري ، حتى يصير ريباً وصعباً ، فلا يقبل المحو ، الذي أو يدخله  
فرض أو لموت ، فلا يجد منه ملائمة باحو وحدث ورد في الخبر " إن  
أكثر حياض أهل النار من التثويف ، فما هلك من هلك " إلا بالتثويف  
فيكون تسويده عيب بقا ، وحلاؤه بالفضة سيئه ، إلى أن يصفه الموت  
فيأتي الله بعب غير سليم ولا يحو إلا من أن الله بعب سيب والعب أمانة  
الله تعالى عند عبده والعمر أمانة لله عنده وكما سائر أسباب بضاعه من  
عنان في الأمانة ولم يتدارك حياته ، فأمره محط قد بعض بعد من إن الله  
تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإقام ، أحدهما إذ خرج من بعض  
أمة يقول له : عدي ، قد أخرجك إلى الدنيا طاهر نصيباً ، واسودعت  
عمرك واشتكت عه ، فحصر كيف تحفظ الأمانة ، وانظر إلى كيف تلقى  
وثنى عدا حروح روحه بقول : عدي ، ماذا صنعت في فاضي عندك ؟ هل  
حفظتها حتى تنقش عن عهد ، فذلك على وفاء ؟ أو أصعبها فذلك بمصائبه  
والعقاب ؟ وإلى الإشارة بقوله تعالى ﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (٤١)  
ويقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (٤٢)



(٤٠) الزمى . الطبع والنس . يقال وإن دابة على قلبه أي غلب قال أبو عبيد : في قوله تعالى  
﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي غلب وقال الحسن رضي الله عنه : هو الذنب من  
الذنب حتى يتجاوز القلب . وقال أبو عبيد : كل ما خلك قد ران بك ورانته ورانته  
(٤١) حدث إن أكثر حياض أهل النار من التثويف لم يجد له أملاً  
(٤٢) البقرة ٢٨٠ (٤٣) المؤمن ٨



## الفصل الخامس

### بيان أن التوبة إذا استجبت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم أنك إذ فهمت معنى غوب ، نشأت من كل توبة صحبته هي  
مقبولة ، فاصبرون بور ثنائير مسنون من راقب ، صبر على كل  
فب سيب مقبول عند الله ، وسعد في الآخرة . حو الله تعالى . ومستعد  
لأن يصير بعينه البقرة إلى روحه الله تعالى وعنه . عيب حتى سيب في  
الأصل ، وكل مولود يولد على الفطرة ، فمده به سلامة بكهارة بره  
وحبه من عبده المذنب وظلمت . وعلموا أن من يدم تحرق تلك العثرة ، وأن  
بور الحنة يحو عن وجه القلب ضمة تسعة . لا طاقه لظلام المعاصي مع  
بور حسنة كما لا طاقة لظلام الليل مع نور . بل كما لا طاقه بكهارة  
الشمس مع بياض العيون . وكما أن الثوب البويح لا يقبل صبغ لأن يكون  
لباسه والقلب المصطب لا يقبل صبغه الله تعالى لأن يكون . وكما أن سبغ  
الثوب في الأعمال الحسنة يوسخ الثوب ويوسخه بالصابون والماء الحار يطفئه  
لا محالة . فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب ، وعسل بماء الدموع  
وحرقه بدم بصره ، ويصهره . ويركيه . وكل من ركي صدره فهو مقبول ،  
كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول . فرب عيب به كنهه نصيب . فمحبوب  
محبوب قد سوره القصص ذكر الشقي ذمرد . وهو يسمى فلاح في قوله  
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (٤٤)

ومن لم يعرف عن سبيل التحقيق معرفة قوى وأجل من المشاهدة بالبصر ، أن القلب يتأثر بالمعاشي والطاعات فائثاً متصداً ، يستمر لأحدهما لفظ الظلمة ، كما يستمر للتحسين ، ويستمر للآخر لفظ النور ، كما يستمر للعلم ، وأن يوم النور والظلمة تصاداً ضرورياً ، لا يتصور الجمع بينهما . فكأنه لم يبق من الدين إلا قشوره ، ولم يعلق به إلا أسنانه ، وقلبه في غطاء كئيف عن حقيقة الدين . بل عن حقيقة نفسه ، وصفات نفسه . ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل . وأعى به قلبه . إذ بقلبه يعرف قلبه . فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه .

فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل ، كمن يتوهم أن الشمس تطع والظلام لا يزول ، والثوب يمس بالصابون والوسخ لا يزول . إلا أن يفرض الوسخ يصور تراكمه في ليوبيع الثوب وحطه ، فلا يقرى الصابون على قلعه . فمثال ذلك أن تراكم الدوب حتى يصير طبعاً وربنا على القلب . فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يهرب . نعم . قد يقول باللسان : تبت ، فيكون ذلك كقول القصار<sup>(١٨)</sup> بلسانه قد غسلت الثوب ، وذلك لا يظف الثوب أصلاً ، ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يصاد الوصف المتمسك به . فبعد حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد ، بل هو العائب على كافة الخلق المقلبين على الدنيا ، انصرف عن الله بالكلية . فهذا البيان كاف عند ذوى البصائر في قبول السوء . ولكننا معضد جناحه بنقل الآيات ، والأخبار ، والآثار فكل استبصار لا يسهل له الكتاب والسنة لا يوثق به . وقد قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾<sup>(١٩)</sup> وقال تعالى ﴿ غَايِرَ الذُّلْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾<sup>(٢٠)</sup> إلى غير ذلك من الآيات .

(١٨) قصار الذي يقب الثوب ويغسلها ويمسحها  
(١٩) الشورى . ٢٥  
(٢٠) طه . ٣٠

وقال عليه السلام : الله أقورخ بتوبة أخيركم في الدنيا . والفرح وراء القبول بها دليل على قبول وزيدة . وقال عليه السلام : إذا فرح رجل بقبوله بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار ولمسيء النهار إلى الليل ختم الله عليه الشئ من مغفرتها . وبسط اليد كتابة عن طلب التوبة . وحالب وراء الدين . ومن ليس بطالب ، ولا طالب إلا وهو قاتل . وقال عليه السلام : لو عملتم الخطيئة حتى تبلغ السماء ثم يدعكم لقاب الله عليكم . وقال أيضاً<sup>(٢١)</sup> : إن الله ليذيب الذلبي ليدخل به الجنة ، قبل كيف دلت يا رسول الله ؟ قال : يكون نصيب غيبه لا يأمنه قلوباً حتى يدخل الجنة . قال عليه السلام<sup>(٢٢)</sup> : كفارة الذلبي التذابة . وقال عليه السلام : القاب من الذلبي كذا لا ذلبي له .

ويروى<sup>(٢٣)</sup> أن حسناً قال يا رسول الله : إن كنت أعمل المعاصي ، فيلني من توبة ؟ قال نعم . فوئلي ثم رجعت فقال : رسول الله ، أكان يراني وأنا أعملها ؟ قال نعم . فصاح الجبشي صيحة خرجت فيها روحه . ويروى<sup>(٢٤)</sup> أن

(٢٨) حديث الله بسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار — الحديث : مسلم من حديث أبي موسى بن خلف بسط يده بالليل ليقب مسيء النهار — الحديث : وفي رواية ليعزال مسيء الليل أن يوب بالنهار — الحديث  
(٢٩) حديث لو علمت خطايا حتى تبلغ السماء ثم يدعكم لقاب الله عليكم أي ما جاء من حديث أبي هريرة وأسناده حسن بلفظ لو أعظمتم وقال ثم تدم  
(٣٠) حديث أن العبد ليدب ذلبي فيدخل به الجنة — الحديث : ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلاً ولأن ليع في الجنة من جعلت في حريرة أن العبد ليقب الذلبي فإذا ذكره أخرجه فإذا نظر الله إليه أنه أخرجه عنه له — الحديث : وفيه صريح القوي وهو رجل صالح لكنه مضى في الحديث ولا يأتى الدنيا في التوبة من حديث ابن عمر أن الله يرفع العبد بالذنب بذنبه والحديث غير مصور قاله السبيل .  
(٣١) حديث كفارة الذلبي التذابة : أحمد والقرطبي وهو في نصيب من حديث ابن عباس وفيه يحيى بن عمر ابن مالك الشكري ضعيف .  
(٣٢) حديث إن حسناً قال يا رسول الله إن كنت أعمل المعاصي فهل من توبة قال نعم — الحديث : م أحمد به أصلاً  
(٣٣) حديث إن الله لا يمس الممس سأل النظرة فانظره إلى جود القيامة قال وعزتك لاخرجت من قلب أي أقم ما دام فيه الروح — الحديث : أحمد وأبو يعلى والبيهقي . صحيحه من حديث أبي سعيد عن الشيطان قال وعزتك يا رب لا أزال أعمى حياتك ما دامت قروصهم في أجسادهم فقال وعزتي وجلالي لا أزال أعمى لهم ما استقروا في أرواحهم المصنف بصيغة ويروى كذا و . . إلى أبي جعفر ذكرته إيجاباً

به مخرج من بين يديه، فأنصره إلى يوم القيامة فقال:  
وعزتك لا حرجت من قلب أبي آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي  
والجلال لا حرجت عنه التوبة ما دام الروح فيه. وقال صلى الله عليه وسلم: **«إِنْ  
الْحَسَنَاتِ يَذْهَبُ السَّيِّئَاتِ كَمَا يَذْهَبُ الْمَاءُ الْوَسْخُ وَالْأَحْيَارُ فِي هَذَا  
الْبَحْرِ»**

ولما الآثار: فقد قال سعيد بن المسيب: أنزل قوله تعالى **«فَبِأَلَيْسَ كَانَ  
لِلنَّاسِ عَذَابٌ غَمُورًا»** الرجل يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، وقال  
العصمى: قال الله تعالى: بشر المذنبين بأنهم إن تابوا قبلت منهم، وحشر  
نفسهم في إن وصفت عليهم عدلهم، وقد صلى بن حبيب بن  
حذاف الله أعظم من أن يقوم به العبد، ولكن أصبحوا قائمين ومسيحيين

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من ذكر حصته من التوبة، فوجلت منها  
ففيه، بحيث عرفت في أم الكتاب

ويروى أن نبيًا من أنبياء بني إسرائيل لاذب، فأوحى الله تعالى إليه، وعزتي  
لئن عدت لأعذبك. فقال يارب، أتب أنت، وأنا أنا، وعزتك إن لم  
تعصني لأعزدد. فقصه الله تعالى، وقال بعضهم: إن العبد ليدب الذنب  
فلا يبر ما دام حتى يدخل الجنة، فيقول إلهي: لئن لم أوقعه في الذنب،  
وقال حبيب بن ثابت، تعرض عن رجوع دينه يوم يقبضه، فيمر بالذنب  
يقول: أما إلى قد كنت مشفقًا منه، قال: فيعفو له.

ويروى أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به، هل له من توبة؟  
فأعرض عنه ابن مسعود، ثم التفت إليه، فرأى عييه تذرفان. فقال له: إن

(٥٤) الشقرة: الإمهال. والناجيل: قال رب فانظري إلى يوم يعزود. **«قال فإليك من  
الناجيل»** [المعبر: ٣٧١]  
(٥٥) حديث إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ. **«أجده هذا اللفظ وهو صحيح  
المعنى وهو بمعنى أنج السيئة الحسنات معها روف الترمذي وتقدم قربا  
(٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠) (١٠١) (١٠٢) (١٠٣) (١٠٤) (١٠٥) (١٠٦) (١٠٧) (١٠٨) (١٠٩) (١١٠) (١١١) (١١٢) (١١٣) (١١٤) (١١٥) (١١٦) (١١٧) (١١٨) (١١٩) (١٢٠) (١٢١) (١٢٢) (١٢٣) (١٢٤) (١٢٥) (١٢٦) (١٢٧) (١٢٨) (١٢٩) (١٣٠) (١٣١) (١٣٢) (١٣٣) (١٣٤) (١٣٥) (١٣٦) (١٣٧) (١٣٨) (١٣٩) (١٤٠) (١٤١) (١٤٢) (١٤٣) (١٤٤) (١٤٥) (١٤٦) (١٤٧) (١٤٨) (١٤٩) (١٥٠) (١٥١) (١٥٢) (١٥٣) (١٥٤) (١٥٥) (١٥٦) (١٥٧) (١٥٨) (١٥٩) (١٦٠) (١٦١) (١٦٢) (١٦٣) (١٦٤) (١٦٥) (١٦٦) (١٦٧) (١٦٨) (١٦٩) (١٧٠) (١٧١) (١٧٢) (١٧٣) (١٧٤) (١٧٥) (١٧٦) (١٧٧) (١٧٨) (١٧٩) (١٨٠) (١٨١) (١٨٢) (١٨٣) (١٨٤) (١٨٥) (١٨٦) (١٨٧) (١٨٨) (١٨٩) (١٩٠) (١٩١) (١٩٢) (١٩٣) (١٩٤) (١٩٥) (١٩٦) (١٩٧) (١٩٨) (١٩٩) (٢٠٠) (٢٠١) (٢٠٢) (٢٠٣) (٢٠٤) (٢٠٥) (٢٠٦) (٢٠٧) (٢٠٨) (٢٠٩) (٢١٠) (٢١١) (٢١٢) (٢١٣) (٢١٤) (٢١٥) (٢١٦) (٢١٧) (٢١٨) (٢١٩) (٢٢٠) (٢٢١) (٢٢٢) (٢٢٣) (٢٢٤) (٢٢٥) (٢٢٦) (٢٢٧) (٢٢٨) (٢٢٩) (٢٣٠) (٢٣١) (٢٣٢) (٢٣٣) (٢٣٤) (٢٣٥) (٢٣٦) (٢٣٧) (٢٣٨) (٢٣٩) (٢٤٠) (٢٤١) (٢٤٢) (٢٤٣) (٢٤٤) (٢٤٥) (٢٤٦) (٢٤٧) (٢٤٨) (٢٤٩) (٢٥٠) (٢٥١) (٢٥٢) (٢٥٣) (٢٥٤) (٢٥٥) (٢٥٦) (٢٥٧) (٢٥٨) (٢٥٩) (٢٦٠) (٢٦١) (٢٦٢) (٢٦٣) (٢٦٤) (٢٦٥) (٢٦٦) (٢٦٧) (٢٦٨) (٢٦٩) (٢٧٠) (٢٧١) (٢٧٢) (٢٧٣) (٢٧٤) (٢٧٥) (٢٧٦) (٢٧٧) (٢٧٨) (٢٧٩) (٢٨٠) (٢٨١) (٢٨٢) (٢٨٣) (٢٨٤) (٢٨٥) (٢٨٦) (٢٨٧) (٢٨٨) (٢٨٩) (٢٩٠) (٢٩١) (٢٩٢) (٢٩٣) (٢٩٤) (٢٩٥) (٢٩٦) (٢٩٧) (٢٩٨) (٢٩٩) (٣٠٠) (٣٠١) (٣٠٢) (٣٠٣) (٣٠٤) (٣٠٥) (٣٠٦) (٣٠٧) (٣٠٨) (٣٠٩) (٣١٠) (٣١١) (٣١٢) (٣١٣) (٣١٤) (٣١٥) (٣١٦) (٣١٧) (٣١٨) (٣١٩) (٣٢٠) (٣٢١) (٣٢٢) (٣٢٣) (٣٢٤) (٣٢٥) (٣٢٦) (٣٢٧) (٣٢٨) (٣٢٩) (٣٣٠) (٣٣١) (٣٣٢) (٣٣٣) (٣٣٤) (٣٣٥) (٣٣٦) (٣٣٧) (٣٣٨) (٣٣٩) (٣٤٠) (٣٤١) (٣٤٢) (٣٤٣) (٣٤٤) (٣٤٥) (٣٤٦) (٣٤٧) (٣٤٨) (٣٤٩) (٣٥٠) (٣٥١) (٣٥٢) (٣٥٣) (٣٥٤) (٣٥٥) (٣٥٦) (٣٥٧) (٣٥٨) (٣٥٩) (٣٦٠) (٣٦١) (٣٦٢) (٣٦٣) (٣٦٤) (٣٦٥) (٣٦٦) (٣٦٧) (٣٦٨) (٣٦٩) (٣٧٠) (٣٧١) (٣٧٢) (٣٧٣) (٣٧٤) (٣٧٥) (٣٧٦) (٣٧٧) (٣٧٨) (٣٧٩) (٣٨٠) (٣٨١) (٣٨٢) (٣٨٣) (٣٨٤) (٣٨٥) (٣٨٦) (٣٨٧) (٣٨٨) (٣٨٩) (٣٩٠) (٣٩١) (٣٩٢) (٣٩٣) (٣٩٤) (٣٩٥) (٣٩٦) (٣٩٧) (٣٩٨) (٣٩٩) (٤٠٠) (٤٠١) (٤٠٢) (٤٠٣) (٤٠٤) (٤٠٥) (٤٠٦) (٤٠٧) (٤٠٨) (٤٠٩) (٤١٠) (٤١١) (٤١٢) (٤١٣) (٤١٤) (٤١٥) (٤١٦) (٤١٧) (٤١٨) (٤١٩) (٤٢٠) (٤٢١) (٤٢٢) (٤٢٣) (٤٢٤) (٤٢٥) (٤٢٦) (٤٢٧) (٤٢٨) (٤٢٩) (٤٣٠) (٤٣١) (٤٣٢) (٤٣٣) (٤٣٤) (٤٣٥) (٤٣٦) (٤٣٧) (٤٣٨) (٤٣٩) (٤٤٠) (٤٤١) (٤٤٢) (٤٤٣) (٤٤٤) (٤٤٥) (٤٤٦) (٤٤٧) (٤٤٨) (٤٤٩) (٤٥٠) (٤٥١) (٤٥٢) (٤٥٣) (٤٥٤) (٤٥٥) (٤٥٦) (٤٥٧) (٤٥٨) (٤٥٩) (٤٦٠) (٤٦١) (٤٦٢) (٤٦٣) (٤٦٤) (٤٦٥) (٤٦٦) (٤٦٧) (٤٦٨) (٤٦٩) (٤٧٠) (٤٧١) (٤٧٢) (٤٧٣) (٤٧٤) (٤٧٥) (٤٧٦) (٤٧٧) (٤٧٨) (٤٧٩) (٤٨٠) (٤٨١) (٤٨٢) (٤٨٣) (٤٨٤) (٤٨٥) (٤٨٦) (٤٨٧) (٤٨٨) (٤٨٩) (٤٩٠) (٤٩١) (٤٩٢) (٤٩٣) (٤٩٤) (٤٩٥) (٤٩٦) (٤٩٧) (٤٩٨) (٤٩٩) (٥٠٠) (٥٠١) (٥٠٢) (٥٠٣) (٥٠٤) (٥٠٥) (٥٠٦) (٥٠٧) (٥٠٨) (٥٠٩) (٥١٠) (٥١١) (٥١٢) (٥١٣) (٥١٤) (٥١٥) (٥١٦) (٥١٧) (٥١٨) (٥١٩) (٥٢٠) (٥٢١) (٥٢٢) (٥٢٣) (٥٢٤) (٥٢٥) (٥٢٦) (٥٢٧) (٥٢٨) (٥٢٩) (٥٣٠) (٥٣١) (٥٣٢) (٥٣٣) (٥٣٤) (٥٣٥) (٥٣٦) (٥٣٧) (٥٣٨) (٥٣٩) (٥٤٠) (٥٤١) (٥٤٢) (٥٤٣) (٥٤٤) (٥٤٥) (٥٤٦) (٥٤٧) (٥٤٨) (٥٤٩) (٥٥٠) (٥٥١) (٥٥٢) (٥٥٣) (٥٥٤) (٥٥٥) (٥٥٦) (٥٥٧) (٥٥٨) (٥٥٩) (٥٦٠) (٥٦١) (٥٦٢) (٥٦٣) (٥٦٤) (٥٦٥) (٥٦٦) (٥٦٧) (٥٦٨) (٥٦٩) (٥٧٠) (٥٧١) (٥٧٢) (٥٧٣) (٥٧٤) (٥٧٥) (٥٧٦) (٥٧٧) (٥٧٨) (٥٧٩) (٥٨٠) (٥٨١) (٥٨٢) (٥٨٣) (٥٨٤) (٥٨٥) (٥٨٦) (٥٨٧) (٥٨٨) (٥٨٩) (٥٩٠) (٥٩١) (٥٩٢) (٥٩٣) (٥٩٤) (٥٩٥) (٥٩٦) (٥٩٧) (٥٩٨) (٥٩٩) (٦٠٠) (٦٠١) (٦٠٢) (٦٠٣) (٦٠٤) (٦٠٥) (٦٠٦) (٦٠٧) (٦٠٨) (٦٠٩) (٦١٠) (٦١١) (٦١٢) (٦١٣) (٦١٤) (٦١٥) (٦١٦) (٦١٧) (٦١٨) (٦١٩) (٦٢٠) (٦٢١) (٦٢٢) (٦٢٣) (٦٢٤) (٦٢٥) (٦٢٦) (٦٢٧) (٦٢٨) (٦٢٩) (٦٣٠) (٦٣١) (٦٣٢) (٦٣٣) (٦٣٤) (٦٣٥) (٦٣٦) (٦٣٧) (٦٣٨) (٦٣٩) (٦٤٠) (٦٤١) (٦٤٢) (٦٤٣) (٦٤٤) (٦٤٥) (٦٤٦) (٦٤٧) (٦٤٨) (٦٤٩) (٦٥٠) (٦٥١) (٦٥٢) (٦٥٣) (٦٥٤) (٦٥٥) (٦٥٦) (٦٥٧) (٦٥٨) (٦٥٩) (٦٦٠) (٦٦١) (٦٦٢) (٦٦٣) (٦٦٤) (٦٦٥) (٦٦٦) (٦٦٧) (٦٦٨) (٦٦٩) (٦٧٠) (٦٧١) (٦٧٢) (٦٧٣) (٦٧٤) (٦٧٥) (٦٧٦) (٦٧٧) (٦٧٨) (٦٧٩) (٦٨٠) (٦٨١) (٦٨٢) (٦٨٣) (٦٨٤) (٦٨٥) (٦٨٦) (٦٨٧) (٦٨٨) (٦٨٩) (٦٩٠) (٦٩١) (٦٩٢) (٦٩٣) (٦٩٤) (٦٩٥) (٦٩٦) (٦٩٧) (٦٩٨) (٦٩٩) (٧٠٠) (٧٠١) (٧٠٢) (٧٠٣) (٧٠٤) (٧٠٥) (٧٠٦) (٧٠٧) (٧٠٨) (٧٠٩) (٧١٠) (٧١١) (٧١٢) (٧١٣) (٧١٤) (٧١٥) (٧١٦) (٧١٧) (٧١٨) (٧١٩) (٧٢٠) (٧٢١) (٧٢٢) (٧٢٣) (٧٢٤) (٧٢٥) (٧٢٦) (٧٢٧) (٧٢٨) (٧٢٩) (٧٣٠) (٧٣١) (٧٣٢) (٧٣٣) (٧٣٤) (٧٣٥) (٧٣٦) (٧٣٧) (٧٣٨) (٧٣٩) (٧٤٠) (٧٤١) (٧٤٢) (٧٤٣) (٧٤٤) (٧٤٥) (٧٤٦) (٧٤٧) (٧٤٨) (٧٤٩) (٧٥٠) (٧٥١) (٧٥٢) (٧٥٣) (٧٥٤) (٧٥٥) (٧٥٦) (٧٥٧) (٧٥٨) (٧٥٩) (٧٦٠) (٧٦١) (٧٦٢) (٧٦٣) (٧٦٤) (٧٦٥) (٧٦٦) (٧٦٧) (٧٦٨) (٧٦٩) (٧٧٠) (٧٧١) (٧٧٢) (٧٧٣) (٧٧٤) (٧٧٥) (٧٧٦) (٧٧٧) (٧٧٨) (٧٧٩) (٧٨٠) (٧٨١) (٧٨٢) (٧٨٣) (٧٨٤) (٧٨٥) (٧٨٦) (٧٨٧) (٧٨٨) (٧٨٩) (٧٩٠) (٧٩١) (٧٩٢) (٧٩٣) (٧٩٤) (٧٩٥) (٧٩٦) (٧٩٧) (٧٩٨) (٧٩٩) (٨٠٠) (٨٠١) (٨٠٢) (٨٠٣) (٨٠٤) (٨٠٥) (٨٠٦) (٨٠٧) (٨٠٨) (٨٠٩) (٨١٠) (٨١١) (٨١٢) (٨١٣) (٨١٤) (٨١٥) (٨١٦) (٨١٧) (٨١٨) (٨١٩) (٨٢٠) (٨٢١) (٨٢٢) (٨٢٣) (٨٢٤) (٨٢٥) (٨٢٦) (٨٢٧) (٨٢٨) (٨٢٩) (٨٣٠) (٨٣١) (٨٣٢) (٨٣٣) (٨٣٤) (٨٣٥) (٨٣٦) (٨٣٧) (٨٣٨) (٨٣٩) (٨٤٠) (٨٤١) (٨٤٢) (٨٤٣) (٨٤٤) (٨٤٥) (٨٤٦) (٨٤٧) (٨٤٨) (٨٤٩) (٨٥٠) (٨٥١) (٨٥٢) (٨٥٣) (٨٥٤) (٨٥٥) (٨٥٦) (٨٥٧) (٨٥٨) (٨٥٩) (٨٦٠) (٨٦١) (٨٦٢) (٨٦٣) (٨٦٤) (٨٦٥) (٨٦٦) (٨٦٧) (٨٦٨) (٨٦٩) (٨٧٠) (٨٧١) (٨٧٢) (٨٧٣) (٨٧٤) (٨٧٥) (٨٧٦) (٨٧٧) (٨٧٨) (٨٧٩) (٨٨٠) (٨٨١) (٨٨٢) (٨٨٣) (٨٨٤) (٨٨٥) (٨٨٦) (٨٨٧) (٨٨٨) (٨٨٩) (٨٩٠) (٨٩١) (٨٩٢) (٨٩٣) (٨٩٤) (٨٩٥) (٨٩٦) (٨٩٧) (٨٩٨) (٨٩٩) (٩٠٠) (٩٠١) (٩٠٢) (٩٠٣) (٩٠٤) (٩٠٥) (٩٠٦) (٩٠٧) (٩٠٨) (٩٠٩) (٩١٠) (٩١١) (٩١٢) (٩١٣) (٩١٤) (٩١٥) (٩١٦) (٩١٧) (٩١٨) (٩١٩) (٩٢٠) (٩٢١) (٩٢٢) (٩٢٣) (٩٢٤) (٩٢٥) (٩٢٦) (٩٢٧) (٩٢٨) (٩٢٩) (٩٣٠) (٩٣١) (٩٣٢) (٩٣٣) (٩٣٤) (٩٣٥) (٩٣٦) (٩٣٧) (٩٣٨) (٩٣٩) (٩٤٠) (٩٤١) (٩٤٢) (٩٤٣) (٩٤٤) (٩٤٥) (٩٤٦) (٩٤٧) (٩٤٨) (٩٤٩) (٩٥٠) (٩٥١) (٩٥٢) (٩٥٣) (٩٥٤) (٩٥٥) (٩٥٦) (٩٥٧) (٩٥٨) (٩٥٩) (٩٦٠) (٩٦١) (٩٦٢) (٩٦٣) (٩٦٤) (٩٦٥) (٩٦٦) (٩٦٧) (٩٦٨) (٩٦٩) (٩٧٠) (٩٧١) (٩٧٢) (٩٧٣) (٩٧٤) (٩٧٥) (٩٧٦) (٩٧٧) (٩٧٨) (٩٧٩) (٩٨٠) (٩٨١) (٩٨٢) (٩٨٣) (٩٨٤) (٩٨٥) (٩٨٦) (٩٨٧) (٩٨٨) (٩٨٩) (٩٩٠) (٩٩١) (٩٩٢) (٩٩٣) (٩٩٤) (٩٩٥) (٩٩٦) (٩٩٧) (٩٩٨) (٩٩٩) (١٠٠٠) (١٠٠١) (١٠٠٢) (١٠٠٣) (١٠٠٤) (١٠٠٥) (١٠٠٦) (١٠٠٧) (١٠٠٨) (١٠٠٩) (١٠١٠) (١٠١١) (١٠١٢) (١٠١٣) (١٠١٤) (١٠١٥) (١٠١٦) (١٠١٧) (١٠١٨) (١٠١٩) (١٠٢٠) (١٠٢١) (١٠٢٢) (١٠٢٣) (١٠٢٤) (١٠٢٥) (١٠٢٦) (١٠٢٧) (١٠٢٨) (١٠٢٩) (١٠٣٠) (١٠٣١) (١٠٣٢) (١٠٣٣) (١٠٣٤) (١٠٣٥) (١٠٣٦) (١٠٣٧) (١٠٣٨) (١٠٣٩) (١٠٤٠) (١٠٤١) (١٠٤٢) (١٠٤٣) (١٠٤٤) (١٠٤٥) (١٠٤٦) (١٠٤٧) (١٠٤٨) (١٠٤٩) (١٠٥٠) (١٠٥١) (١٠٥٢) (١٠٥٣) (١٠٥٤) (١٠٥٥) (١٠٥٦) (١٠٥٧) (١٠٥٨) (١٠٥٩) (١٠٦٠) (١٠٦١) (١٠٦٢) (١٠٦٣) (١٠٦٤) (١٠٦٥) (١٠٦٦) (١٠٦٧) (١٠٦٨) (١٠٦٩) (١٠٧٠) (١٠٧١) (١٠٧٢) (١٠٧٣) (١٠٧٤) (١٠٧٥) (١٠٧٦) (١٠٧٧) (١٠٧٨) (١٠٧٩) (١٠٨٠) (١٠٨١) (١٠٨٢) (١٠٨٣) (١٠٨٤) (١٠٨٥) (١٠٨٦) (١٠٨٧) (١٠٨٨) (١٠٨٩) (١٠٩٠) (١٠٩١) (١٠٩٢) (١٠٩٣) (١٠٩٤) (١٠٩٥) (١٠٩٦) (١٠٩٧) (١٠٩٨) (١٠٩٩) (١١٠٠) (١١٠١) (١١٠٢) (١١٠٣) (١١٠٤) (١١٠٥) (١١٠٦) (١١٠٧) (١١٠٨) (١١٠٩) (١١١٠) (١١١١) (١١١٢) (١١١٣) (١١١٤) (١١١٥) (١١١٦) (١١١٧) (١١١٨) (١١١٩) (١١٢٠) (١١٢١) (١١٢٢) (١١٢٣) (١١٢٤) (١١٢٥) (١١٢٦) (١١٢٧) (١١٢٨) (١١٢٩) (١١٣٠) (١١٣١) (١١٣٢) (١١٣٣) (١١٣٤) (١١٣٥) (١١٣٦) (١١٣٧) (١١٣٨) (١١٣٩) (١١٤٠) (١١٤١) (١١٤٢) (١١٤٣) (١١٤٤) (١١٤٥) (١١٤٦) (١١٤٧) (١١٤٨) (١١٤٩) (١١٥٠) (١١٥١) (١١٥٢) (١١٥٣) (١١٥٤) (١١٥٥) (١١٥٦) (١١٥٧) (١١٥٨) (١١٥٩) (١١٦٠) (١١٦١) (١١٦٢) (١١٦٣) (١١٦٤) (١١٦٥) (١١٦٦) (١١٦٧) (١١٦٨) (١١٦٩) (١١٧٠) (١١٧١) (١١٧٢) (١١٧٣) (١١٧٤) (١١٧٥) (١١٧٦) (١١٧٧) (١١٧٨) (١١٧٩) (١١٨٠) (١١٨١) (١١٨٢) (١١٨٣) (١١٨٤) (١١٨٥) (١١٨٦) (١١٨٧) (١١٨٨) (١١٨٩) (١١٩٠) (١١٩١) (١١٩٢) (١١٩٣) (١١٩٤) (١١٩٥) (١١٩٦) (١١٩٧) (١١٩٨) (١١٩٩) (١٢٠٠) (١٢٠١) (١٢٠٢) (١٢٠٣) (١٢٠٤) (١٢٠٥) (١٢٠٦) (١٢٠٧) (١٢٠٨) (١٢٠٩) (١٢١٠) (١٢١١) (١٢١٢) (١٢١٣) (١٢١٤) (١٢١٥) (١٢١٦) (١٢١٧) (١٢١٨) (١٢١٩) (١٢٢٠) (١٢٢١) (١٢٢٢) (١٢٢٣) (١٢٢٤) (١٢٢٥) (١٢٢٦) (١٢٢٧) (١٢٢٨) (١٢٢٩) (١٢٣٠) (١٢٣١) (١٢٣٢) (١٢٣٣) (١٢٣٤) (١٢٣٥) (١٢٣٦) (١٢٣٧) (١٢٣٨) (١٢٣٩) (١٢٤٠) (١٢٤١) (١٢٤٢) (١٢٤٣) (١٢٤٤) (١٢٤٥) (١٢٤٦) (١٢٤٧) (١٢٤٨) (١٢٤٩) (١٢٥٠) (١٢٥١) (١٢٥٢) (١٢٥٣) (١٢٥٤) (١٢٥٥) (١٢٥٦) (١٢٥٧) (١٢٥٨) (١٢٥٩) (١٢٦٠) (١٢٦١) (١٢٦٢) (١٢٦٣) (١٢٦٤) (١٢٦٥) (١٢٦٦) (١٢٦٧) (١٢٦٨) (١٢٦٩) (١٢٧٠) (١٢٧١) (١٢٧٢) (١٢٧٣) (١٢٧٤) (١٢٧٥) (١٢٧٦) (١٢٧٧) (١٢٧٨) (١٢٧٩) (١٢٨٠) (١٢٨١) (١٢٨٢) (١٢٨٣) (١٢٨٤) (١٢٨٥) (١٢٨٦) (١٢٨٧) (١٢٨٨) (١٢٨٩) (١٢٩٠) (١٢٩١) (١٢٩٢) (١٢٩٣) (١٢٩٤) (١٢٩٥) (١٢٩٦) (١٢٩٧) (١٢٩٨) (١٢٩٩) (١٣٠٠) (١٣٠١) (١٣٠٢) (١٣٠٣) (١٣٠٤) (١٣٠٥) (١٣٠٦) (١٣٠٧) (١٣٠٨) (١٣٠٩) (١٣١٠) (١٣١١) (١٣١٢) (١٣١٣) (١٣١٤) (١٣١٥) (١٣١٦) (١٣١٧) (١٣١٨) (١٣١٩) (١٣٢٠) (١٣٢١) (١٣٢٢) (١٣٢٣) (١٣٢٤) (١٣٢٥) (١٣٢٦) (١٣٢٧) (١٣٢٨) (١٣٢٩) (١٣٣٠) (١٣٣١) (١٣٣٢) (١٣٣٣) (١٣٣٤) (١٣٣٥) (١٣٣٦) (١٣٣٧) (١٣٣٨) (١٣٣٩) (١٣٤٠) (١٣٤١) (١٣٤٢) (١٣٤٣) (١٣٤٤) (١٣٤٥) (١٣٤٦) (١٣٤٧) (١٣٤٨) (١٣٤٩) (١٣٥٠) (١٣٥١) (١٣٥٢) (١٣٥٣) (١٣٥٤) (١٣٥٥) (١٣٥٦) (١٣٥٧) (١٣٥٨) (١٣٥٩) (١٣٦٠) (١٣٦١) (١٣٦٢) (١٣٦٣) (١٣٦٤) (١٣٦٥) (١٣٦٦) (١٣٦٧) (١٣٦٨) (١٣٦٩) (١٣٧٠) (١٣٧١) (١٣٧٢) (١٣٧٣) (١٣٧٤) (١٣٧٥) (١٣٧٦) (١٣٧٧) (١٣٧٨) (١٣٧٩) (١٣٨٠) (١٣٨١) (١٣٨٢) (١٣٨٣) (١٣٨٤) (١٣٨٥) (١٣٨٦) (١٣٨٧) (١٣٨٨) (١٣٨٩) (١٣٩٠) (١٣٩١) (١٣٩٢) (١٣٩٣) (١٣٩٤) (١٣٩٥) (١٣٩٦) (١٣٩٧) (١٣٩٨) (١٣٩٩) (١٤٠٠) (١٤٠١) (١٤٠٢) (١٤٠٣) (١٤٠٤) (١٤٠٥) (١٤٠٦) (١٤٠٧)**

وسرحب رواحهم في العلا ، حتى أنحوا في ربهض سميم ، وحاصوا في بحر الحياة ، وردموا حنادق الحرع وعبروا جسور الهوى ، حتى تزلوا بقضاء العلم ، واستقوا من غدير الحكمة ، وركبوا سفينة العطش ، وأمسوا بريح الصحة في بحر السلامة ، حتى وصلوا إلى ربهض الراحة ومعذب العز والكرامة . فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة فستقوى لا محالة . \*

قَالَ قُلْتُ : أَتَقُولُ مَا قَالَهُ الْمُعْتَرِلَةُ ، مِنْ أَنَّ قَبُولَ التَّوْبَةِ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ ؟  
فَأَقُولُ : لَا أَعْنِي بِمَا ذَكَرْتَهُ مِنْ وَجوبِ قَبُولِ تَوْبَةِ عَنِ اللَّهِ ، إِلَّا مَا يَرِيدُهُ الْفَائِلُ بِقَوْلِهِ إِنَّ التَّوْبَ إِذَا غَسَلَ بِالصَّابُونِ وَجِبَ زَوَالُ الْوَسْخِ . وَإِنَّ الْعَطْشَانَ يَدُ شَرِبَ ، وَجِبَ زَوَالُ الْعَطْشِ . وَإِنَّهُ إِذَا مَعَ الْمَاءُ مِلَّةٌ وَجِبَ الْعَطْشُ . وَإِنَّهُ يَدُ دَمِ الْعَطْشِ وَجِبَ التَّوْبِ . وَبِشْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَا يَرِيدُهُ الْمُعْتَرِلَةُ بِالْإِحَادِثِ عَلَى اللَّهِ عَنِ مَنْ أَقُولُ حِينَئِذٍ عَلَى الصَّغَةِ مَكْرَهُهُ لِسَمْعَةِ ، وَحِجَّةَ مَاحِيَةِ سَيِّئَةٍ ، كَمَا خُلِقَ الْمَاءُ مَرِيئاً لِلْعَطْشِ ، وَالْقُبُورَةُ مُنْسَعَةً خِلَافَهُ . وَبِشْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَا يَرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَلَكِنْ مَا سَبَقَ بِهِ يَرَادُهُ الْأَرْتِيَةُ فَوَاجِبُ كَوْنِهِ لَا مُحَالَةَ . قَدْ قَسْتُ : فَمَا مِنْ تَائِبٍ إِلَّا وَهُوَ شَاكٍ فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِ وَالشَّارِبُ لِلْمَاءِ لَا يَشْكُ فِي زَوَالِ عَطْشِهِ ، فَلَمْ يَشْكُ فِيهِ .

فَأَقُولُ : شَكُّهُ فِي الْقَبُولِ كَشَكُّهِ فِي وَجُودِ شُرَاطِئِ الْمَصْحَفِ . مِنْ تَوْبَةٍ أَرَكَاثاً وَشُرُوعاً دَقِيقَةً كَمَا سَأَلْتُ ، وَلَيْسَ يَتَحَقَّقُ وَجُودُ هَمِّجِ شُرُوطِهَا ، كَالَّذِي يَشْكُ فِي دَوَاءٍ شَرِبَهُ لِلْإِسْهَالِ فِي أَنَّهُ هَلْ يَسْهَلُ ، وَذَلِكَ لَشَكِّهِ فِي حَصُولِ شُرُوطِ الْإِسْهَالِ فِي الدَّوَاءِ ، بِاعْتِبَارِ الْحَالِ وَالزَّمَانِ وَكَيْفِيَةِ خُلُطِ الدَّوَاءِ وَطَبِيعِهِ ، وَجُرُودِ عَقَاقِيرِهِ وَأَدْوِيَتِهِ . فَهَذَا وَأَمثَالُهُ مُوجِبٌ لِلْحَوْفِ بَعْدَ التَّوْبَةِ ، وَمُوجِبٌ لِلشَّكِّ فِي فُيُوحَا لَا مُحَالَةَ ، عَلَى مَا سَبَقَ فِي شُرُوطِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



## الركن الثاني

### فيما عنه التوبة وهي الذنوب صفاتها وكبائرها

- بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد .
- بيان ما يتعلق بالعباد ، وما يتعلق بحسب الله تعالى .
- بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الذنوب .
- بيان ما تعظم به الصفات من الذنوب .



المجلد الأول  
بيان أقسام الذنوب  
بالإضافة إلى صفات العبد

تمهيد وتهيئة

اعلم أن التوبة ترك الذنب . ولا يكن ترك الشيء إلا بعد معرفته .

وإذا كانت التوبة واجبة ، كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجباً .  
فمعرفة الذنوب إذاً واجبة .

والذنوب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى ، في تركه أو فعله .

وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكديت من أوما إلى آخرها ،  
وليس ذلك من غرضنا .

ولكننا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها .

والله الموفق للصواب برحته

اعلم أن للإنسان أوصافاً وأخلاقاً كثيرة . على ما عرف شرحه في كتاب  
محاسن القلب وغوائله ولكن تنحصر مشيت الذنوب في أربع صفات :

ومثلاً في النفس ولا يصح هنا الميل لثبوتنا تأخره لم يخلق عند تأخره موافق  
لنفسه، بل في الخلق أو في مآله ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب أخرى  
ترجع إلى حركة وزدده وعند العلم والميل الضمني أي بما يستوعب الإرادة  
الجارية، والقدرة والإرادة مبدأ سرور الحركة، وهكذا ترتيب في كل  
فعل. ولكن من اختراع الله تعالى. ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض.  
عندئذ يجب تقدم البعض وتأخر البعض، كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم.

العبارة بقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(١١)</sup> وعن القضاء الكللى الأربى العبارة بقوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾<sup>(١٢)</sup> وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر. ومن حلة القدر خلق حركة في يد الكاتب، بقدر خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جائز في نفسه يسمى القصد، وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمنفعة.

(١٧) القاموس ٤٩

7A

[illegible]

ومن حرك سببها لأبها - و - = فهو مكسب *مكتسب* - و - =  
ارتداد صاحب سببها لأبها - و - = مكتسب - و - = مكتسب - و - =  
ب لا حرك إلا الله ، ولا مدح سوره

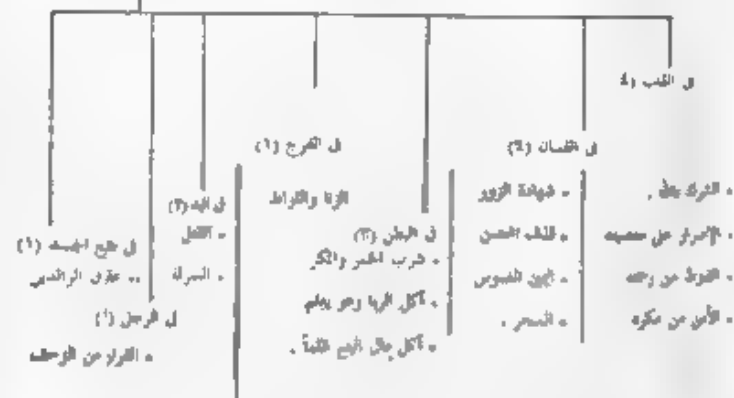
وَعَلِمَ أَنَّ جَمْعَهُ مِنَ الْمَعْبُودِينَ هُوَ إِلَىٰ أَسَدَةِ حَيَوَانَاتٍ  
يُسَمَّى الْفِيلَ، وَمَا كَانَ قَدْرُ شَهْدِهِ 'كَوْنَهُ' وَلَا سَمْعُهُ 'سَمْعُهُ' لَا يَدْرِي

٧ الأضواء



بيان ما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله

میں نے



التزويد

[illegible]
$$T^2 = \frac{1}{2} \frac{1}{\omega^2} \left( \frac{1}{\omega^2} + \frac{1}{\omega^2} \right)$$

الْيَمِينُ <sup>(٦٠)</sup> وَقَالَ <sup>(٦١)</sup> الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ  
يَكْفُرُونَ مَا بَيْنَهُنَّ إِنْ اخْتَبِتِ الْكِبَائِرُ <sup>(٦٢)</sup> وَفِي لَفْظٍ آخَرَ كَفَارَاتٍ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا  
الْكِبَائِرُ <sup>(٦٣)</sup> وَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا رَوَاهُ <sup>(٦٤)</sup> عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَالْكِبَائِرُ  
الْأَشْرَافُ بِاللَّهِ وَغُفُورُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ <sup>(٦٥)</sup>.

## تحديد الكبائر من الصغائر

واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر، من أربع إلى سبع، إلى تسع،  
إلى إحدى عشرة مما عوق دلت. فدل ابن مسعود، من أربع. وقد بنى  
عمر: هي سبع. وقد عبد الله بن عمرو. من تسع. وكان ابن عباس إذا بلغه  
قول ابن عمر: الكبائر سبع يقول: هي إلى سبعين أقرب منها إلى سبع. ودل  
مرة. كل ما سبى الله عنه فهو كبيرة ودل غيره: كل ما أوعده الله عليه بالدر  
فهو من الكبائر. وقال بعض السلف: كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو  
كبيرة. وقيل إنها مبيعة لا يعرف عددها، كنية القدر، وساعة يوم الجمعة.  
وقد بنى مسعود لما مثل بها. اقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية  
مها عذوقه <sup>(٦٦)</sup> إِنْ تَحْسَبُوا كِبَائِرَ مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ <sup>(٦٧)</sup> وَكُنْ مَا سَبَى اللَّهُ عَنْهُ فِي  
هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى هَذِهِ كِبِيرَةٌ وَقَدْ أَوْصَتْ لِكِبَائِرِ سَبْعِ عَشْرَةٍ،  
جَمَعَهَا مِنْ جَمَلَةِ الْأَحْيَارِ <sup>(٦٨)</sup> وَحَمَلَتْ مَا اجْتَمَعَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ  
مَسْعُودٍ، وَابْنِ عُمَرَ وَعِزِّهِمْ، أَرْبَعَةً فِي الْقَسْبِ، وَهِيَ الشُّرْكُ

(٦٠) التحد ٣ والحمد لصغار الذنوب

(٦١) حديث الصلوات الخمس جمعة من الجمعة كغير ما يبين أن حبس الكبائر سبع من حديث

أبي هريرة

(٦٢) حديث عبد الله بن عمرو الكبائر الأشراك بالله وهو النسي والنسي الغموس ورواه

البيهقي

(٦٣) النساء ٣١

(٦٤) الأحبار الواردة في الكبائر حكى المصنف عن أبي حنيفة أن كل الكبائر سبع عشرة جمعتها من  
جملَةِ الْأَحْيَارِ وَحَمَلَتْ مَا اجْتَمَعَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِمْ الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْإِصْرَارُ =

بالله، والإصرار على معصيته، والقبوط من رحمة، والأمن من مكروه. وأربع  
في اللسان، وهي شهادة الزور، وقذف العصب واليمين الغموس، وهي التي  
يحن بها باطلاً أو يطل بها حقاً، وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم  
باطلاً ولو سواها من أركان وصحيت غموس لأنها تغمس صاحبها في الدار،  
والسحر، وهو كل كلام يغير الإنسان، سائر الأجسام عن موضوعات  
الحقيقة.

على معصيته، والقبوط من رحمة، والأمن من مكروه، وشهادة الزور. وقذف العصب واليمين الغموس  
والسحر، وشرب الخمر، وللسكر، وأكل مال اليتيم ضيقاً وأكل الربا، وقرنوا والوطء، والقذف،  
والسرقا والقول من الزيف، وعقوق الوالدين، انتهى وذكر ما ورد منها مرفوعاً وقد تقدم أربعة منها  
في حديث عبد الله بن عمرو، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة اجتنبوا سبع الموبقات قالوا  
يا رسول الله، وما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل  
مال اليتيم، واشتوى يوم القربى، وقذف المحصنات الزون، ولها من حديث أبي بكره ألا أتيتكم  
بأكبر الكبائر الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، لو قال قول الزور لها من حديث أنس  
سهل عن الكبائر قال الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقال ألا أتيتكم بأكبر الكبائر: قال  
قول الزور، لو قال شهادة الزور، ولها من حديث أبي مسعود سألت رسول الله ﷺ أي قلب  
أعظم؟ قال أن تفسد ما هو صحتك، قلت لم أي؟ قال قد نفلت ذلك عنه أن يعلم محدث قلت  
أي؟ قال أن ترى حليلة جارك ولطيفاً من حديث سلمة بن قيس إذا هي أربع لا تشركوا بالله شيئاً،  
ولا تقتلوا نفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا. وفي الصحيحين من حديث عبادة بن  
الصامت يابسون عن أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا الأوسط للطبراني من حديث ابن  
عباس الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر وهي مرفوعة عن عبد الله بن عمرو أعظم الكبائر شرب الخمر  
وكلامها ضعيف ولينزل من حديث ابن عباس بإسناد حسن أن رجلاً قال يا رسول الله ما الكبائر قال:  
الشرك بالله، والإيمان من روح الله، والقبوط من رحمة الله، وله من حديث أربعة أكبر الكبائر الإشراف  
بالله، وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء، ومنع الفضل، وفيه صالح بن حبان خطبه ابن مسعود، انتهى  
وفي خالد بن عيسى السمين ضعيف للطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حنيفة في الكبائر  
والعرب بعد الهجرة وفيه ابن وهب في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر سبع وفيه الرجوع  
إلى الأحرارية بعد الهجرة وفيه أبو بلال الأحمري خطبه القدراني ولما كان من حديث حبيب ابن عمرو هي  
أية الكبائر سبع فذكر منها واستحل البيت الحرام والطبراني من حديث وثقة إن من أكبر الكبائر أن  
يقول الرجل عني ما لم أقل وفيه أيضاً من حديثه إن من أكبر الكبائر أن يقتل الرجل من ولده ولمسلم من  
حديث جابر بن الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث جابر بن الرجل وبين  
الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والده ولأن  
فلود من حديث سعيد بن زيد من أبى الرية الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وفي الصحيحين من

ثلاث في البطن، وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب، وأكل مال  
 بيتي ظمأ، وأكل الربا وهو يسمون شتد في العرج، وهو نرد وسواه.  
 وانتكاد في الدين، وهما القتل والسرقة. وواحدة في الرجلين، وهو الفرار  
 من الحرب، لواحد من اثنين، والعشرة من احشرين ووحدة في جميع  
 الجسد، وهي حقوق الوالدين، قال وجهه عقوبتهما أن يقسما عليه في حق فلا  
 يبر قسمهما. وإن سألناه حاجة فلا يعطيهما، وإن يسبه فيضربهما، ويجوعان  
 فلا يعطيهما.

هذا ما قاله وهو قريب، ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء، إذ يمكن الزيادة  
 عليه والنقصان منه، فإنه جعل أكل الربا ومال أبيه من الكبائر، وهي جناية  
 على الأموال ولم يذكر في كباير العموس إلا القتل. فأما فقه العين، وقطع  
 ليدن، وغير ذلك من تعذيب السممين بالضراب وأنواع العذاب، مما  
 يتعرض له وضرب أبيه وتعديه، ومضغ ضراعه لا شئ في أنه أكبر من أكل

حيث ابن عباس أنه عليه السلام مر على قبرين فقال لهما يمدان وما بطلان في كبير وإني لكم لما أحدهما  
 فكان يمشي بالجمجمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله الحديث: ولأحد في هذه قطعة من حديث  
 أبي بكر لما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس الحديث: ولأبي داود والترمذي من حديث أبي هريرة  
 عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سكت عليه أبو داود  
 واستمره فيطري والترمذي وروى ابن أبي شيبة في التوبة من حديث ابن عباس لا صبرة مع أصغر  
 وفيه أبو شيبة الخراساني والحديث منكر معروف به (وأما الموقوفات) فروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن  
 ابن مسعود قال الكبائر الأشراك بالله والأمن من مكر الله والضيوط من رحمة الله واليأس من روح الله  
 وروى البيهقي في عن ابن عباس قال الكبائر الأسراك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله  
 وخوف توفيقين وقال الناس حتى جرم الله ولقد المصنعت وأكل مال بيتي والفرار من الحرب وأكل  
 الربا والسحر والربا واليمين العموس الفاجرة والعقول ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وشرب  
 الخمر وترك الصلاة متصلاً وأثناء ما قرطه الله وتلقى العهد وقطعة الرسم وروى ابن أبي شيبة في  
 التوبة عن ابن عباس كل ذنب أسير عليه العبد كبير وفيه أربع من صحيح خلفه في وروى أبو منصور  
 الطبراني في مسند الفريسي عن أبيه قوله لا صبرة مع الأصرار واستاده جيد قد اجتمع عن الموقوفات  
 والموقوفات ثلاثة وثلاثون أو ثمان وثلاثون إلا أن بعض لا يصح استاده كما تقدم وإني ذكرت الموقوفات  
 حتى يعلم ما ورد في الموقوف وما ورد في الموقوف واليهي في الشعب عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر  
 سبع فقال هي إلى سبع أقرب وروى البيهقي أيضاً في عن ابن عباس قال كل ما سئى الله منه كبير والله  
 أعلم

ماله. كيف وفي الخبر من الكبائر (٦٦) السكوت بالنسبة ومن الكبائر استبطالة  
 الرخاء في عرض أبيه المسلم، ومذاق من فدف اصص (٦٧) أبو  
 سعيد الخدري وغيره من الصحابة. إنكم لتسمون أفعالاً هي أدق في أعيكم  
 من الشر كذا تعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكبائر.

وقالت طائفة كل عتيد كبيرة، وكل ما سئى الله عنه فهو كبيرة: وكشف  
 الغطاء عن هذا. أن نظر النظر في الذرة هي كبيرة أم لا، لا يصح، ما لم  
 يفهم معنى الكبيرة والمراد بها. كقول القائل سرقة حرام أم لا، لا مطمع في  
 تعريفه إلا بعد تقرير معنى الحرام أولاً ثم بحث عن وجوده في السرقة.  
 فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم، ليس له توسع خاص في اللغة ولا في  
 الشرع. وذلك لأن الكبير والصغير من المعصيات، وما من ذنب إلا وهو كبير  
 بالإضافة إلى ما دونه، وصغير بالإضافة إلى ما عوفه. فالمضاجعة مع الأجنبية  
 كبيرة بالإضافة إلى الصرة، صغيرة بالإضافة إلى الرنا، وقطع يد المسلم كبيرة  
 بالإضافة إلى صيرته صغيرة بالإضافة إلى قته. نعم للإنسان أن يطلق على  
 ما توعد بالار على فعله خاصة اسم الكبيرة. ويصحب بوصفه بالكبيرة أن العقوبة  
 بالنار عظيمة، وله أن يطلق على ما لوجب الله عليه مصراً إلى أن ما جعل  
 عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيمة، وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب  
 السبي عنه، فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمة، ثم يكون  
 عظيماً وكبيرة لا محالة بالإضافة. إذ متصريحات القرآن أيضاً تتفاوت  
 درجاتها.

(٦٦) حديث من الكبائر السكوت بالنسبة ومن الكبائر استبطالة الرجل في عرض أبيه المسلم: هو أبو  
 منصور الذهبي في مسند الفريسي لأحد وأبي داود من حديث سعيد بن زيد والذي عندهما من حديثه  
 من أبيه طعن استطالة في عرض أحمد بن زيد

(٦٧) حديث أبي سعيد الخدري: غيره من الصحابة أنكبوا أفعالاً هي أدق في أعيكم من الشر  
 كذا تعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكبائر أحد والشر يستند صحيح وقال من الموقوفات. يدل  
 الكبائر ورواه البخاري من حديثه نفس واحد وقيل لا من حديث عباد بن قيس وقال صحيح الاسناد.

ففيه الإطلاقات لا حرج فيها . وما بقا من العطف الصلوة يتردد به هذه الحديث ، ولا يعد تبرئته على هيئ من هذه الاحتمالات . نعم من المحدث أن يعلم معنى قول الله تعالى ﴿ إِنْ تَحِبُّوا كِبَارًا مَا تُهْزِنُ عَنْهُ ثُكُورُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (٢٨) وقول رسول الله ﷺ ، الصَّلَاةُ كَفَّارَاتُ كَفَّارَاتٍ لِمَا يَبْهِنُ إِلَّا الْكِبَارُ ، فإن هذا إثبات حكم الكبار .

## تحديد الغزالي في الفرق بين الصغيرة والكبيرة

والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه إياها . وإلى ما يعلم أنها مملوذة في الصغائر ، وإلى ما يشت فيه فلا يلزم حكمه : فالطمع في معرفة حد حاصر ، أو عدد جامع مانع ، طبع لما لا يمكن فإن دلت لا يمكن إلا باستماع من رسول الله ﷺ ، بأن يقول من أردت بالكبار عشراً ، أو خمساً ، ويفصلها ، فإن لم يرد هذا ، بل ورد في بعض الألفاظ (٢٩) ثلاث من الكبار ، وفي بعضها (٣٠) سبع من الكبار . ثم ورد أن السبعين بالنسبة الواحدة من الكبار ، وهو يخرج عن السبع والثلاث ، علم أنه لم يقصد به العدد بما يحصر . فكيف يعلم أن عدد ما لم يحد الشرع ؟ وربما قصد الشرع إقامته ليكون العباد مه على وجل ، كما أبهم ليلته القدر يعظم حد الناس في طلبها . نعم لا سبيل كلّي يكف أن يعرف به أجاس الكبار وأنواعها

(٢٨) الساء . ٣١

(٢٩) حديث ثلاث من الكبار . النجعات من حديث أبي بكره ألا أنيكنم بأكثر الكبار ثلاثاً .

أخذت . وقد تقدم

(٣٠) حديث سبع من الكبار : فيه في الأوبسط من حديث أبي سعيد الكبار سبع وقد تقدم والى الكبر من حديث عبد الله بن عمر من صل الصلوات الخمس وجبت الكبار — أعتدت . ثم علني سبعا وتقدم عن الصحيحين حديث : أنه مبررة بجندوا السبع الموقفات .

بالتحقيق . وأما أعيانها فتعرفها بالظن والتقريب . عرف أيضاً أكبر الكبار . فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته .

وبياته أيضاً أنا يعلم بشواهد الشرع وأنور بصائر جميعاً ، أن مقصود الشرائع كلها سياق الحق إلى جوار الله تعالى ، ساعدة لقاته . وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعونة الله تعالى ومعرفة صفاته ، بحبه ورسله ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْحَرَّ وَالْأَلْسَنَ إِلَّا بِعُذُونِ ﴾ (٣١) أي لكونه عيذاً . ولا يكون العبد عيذاً ما لم يعرف به مربوبية ، ونفسه العبودية . ولا بد أن يعرف نفسه وربه . فهذا هو المقصود لأقصى بيعة الأبي . ولكن لا يتم هذا إلا في حياة الدنيا ، وهو المسمى بقوله عبد السلام (٣٢) ، الدنيا مزرعة الآخرة . فحفظ الدين أيضاً مقصوداً منه . فليس ، لأنه وسيله إلى . ونعم من الدنيا الآخرة شتان . النفوس والأمر . فكل ما يسد باب معرفه الله تعالى فهو أكبر الكبار . وبه ما يسد باب حياة القدس . وبه ما يسد باب تمعش التي بها حياة النفوس . فهذه ثلاث مراتب

محفظة للمعرفة على القلوب ، والحياة على الأبدان ، والأموال على الأشخاص ، ضروري في مقصود الشرائع كلها . هذه ثلاثة أمور لا يتصور أن يختلف فيها الملل . فلا يجوز أن الله تعالى يبعث نبياً يريد بيعته بصلاح خير في دينهم وديارهم ، ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله ، أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال . فحصل من هذا أن الكبار على ثلاث مراتب .

(٣١) الفاربيات . ٥٦

(٣٢) حديث الدنيا مزرعة الآخرة : لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً . روى العقيلي في الضعفاء وأبو بكر من لال في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشج تمت النار الدنيا لم يزود منها لآخره حديث : واستاده صميم .

## المرتبة الأولى من الكبائر (الكفر)

الأولى: ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله، وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر. إذا أحببت الله وحسن العبد هو الجهل. والوسيلة للقرية له إليه وهو الظلم والمعرفة وفهمه بقدر معرفته، ويعد بقدر جهله. ويتلو الجهل الذي يسمى كفرة. الأمن من مكر الله، والقسوة من رحمته. فإن هذا أيضاً عين الجهل. فمن عرف الله لم يتصور أن يكون آمناً، ولا أن يكون آيماً. ويتلو هذه الآية الدعاء فيها، الخسفة بدات الله، وصماته، وأعماله. وبعضها أشد من بعض. يدونها عن حسب بدات الجهل بها، وعلى حسب تعلقها بدات الله سبحانه، وبأعماله، وشرائعه، وبأوامره، ونواهيهِ ومراتب ذلك لا تحصر. وهي تقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن وإلى ما يعلم أنه لا يدخل، وإلى ما يشك فيه، وطلب دفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع.

## المرتبة الثانية من الكبائر (القتل) ما يتعلق بالنفوس

المرتبة الثانية: النفوس. إذ يبقائها وحفظها تدوم الحياة، وحصل المعرفة بالله. قتل النفس لا محالة من الكبائر، وإن كان دون الكفر. لأن ذلك يصدم عين المقصود، وهذا يصدم وسيلة المقصود. إذ حياة الدنيا لا تتراد إلا للأخرة، والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى.

### قطع الأطراف

وهو هذه الكبيرة قطع الأطراف. وكل ما ينقص إلى هلاك، حتى الضرب. وبعضها أكبر من بعض.

## الزنا واللواط

ويقع في هذه المرتبة تحريم الزنا واللواط، لأن اجتماع الناس على الاكتفاء بالذكر في قضاء الشهوات اقتطع السل، وتمع الموجود قريب من قطع الوجود. وأما الزنا فإنه لا يموت فصل الوجود، ولكن يشوش الأنساب. ويظهر اسوارث والتناصر وجهة من الأمور التي لا ينظم العيش إلا بها. بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنا، ولا ينظم أمر لبائهم ما لم يتمز المحل منها بإثبات يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يصور أن يكون الزنا مباحاً في أصل شرع قصد به الإصلاح. وينبغي أن يكون الزنا في المرتبة دون القتل، لأنه ليس يموت نواته بوجود، ولا يجمع أصله. وبكيفية يموت بغير الأسباب ويحدث من الأسباب ما يكاد يعضى إلى شقائه. ويسمى أن يكون أشد من اللواط، لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين، فثبت وقوعه، ويعظم أثر الضرر بكثرة.

## المرتبة الثالثة من الكبائر (ما يتعلق بالأموال)

المرتبة الثالثة: الأموال. فإنها معاش الخلق. فلا يجوز تسلبه الدس على تناولها كيف شاعوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرها. بل ينبغي أن تحفظ نسقها ببقائها بغير سوء إلا أن الأموال إذ أحدثت فحش استردادها، وإن أكلت أمكن تفرغها. فليس يعظم الأمر فيها نعم: إذا جرى تناولها بطريق مصر التدارك له، فغنيبي أن يكون ذلك من الكبائر وذلك بأربع طرق:

### السيرة:

أحدها: الخفية، وهي السرقة. فإنه إذا لم يطلع عليه غالباً كيف يتدارك؟

## أكل مال اليتيم :

الثاني . أكل مال اليتيم وهذا نوع من خفية وأعمى له في حق نول واليتيم ، فإنه مؤتمن فيه ، وليس له حصص سوى اليتيم ، وهو صغير لا يعرفه . فتعصم الأمر فيه واحب ، بخلاف العصب فيه ظاهر يعرف ، وبخلاف الحياة في الوديعة ، فإن المودع عصب فيه يتصرف لنفسه .

## شهادة الزور :

الثالث : تمويجها بشهادة الزور .

## اليمين الغموس :

الرابع : أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس<sup>١٢٢</sup> . فإن هذه طريق لا يمكن فيها التدارك . ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلاً ، وبعضها أشد من بعض ، وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس .

وهذه الأربعة جديرة بأن تكون مرادة بالكبائر ، وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر القواعد عليها ، وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها .

## أكل الربا :

وأما أكل الربا . فليس فيه إلا أكل مال الغير بالتراضى ، مع الإخلال بشرط وضعه الشرع . ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله . وإذا لم يحسم العصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه ، وبغير رضا الشرع من الكبائر ، فأكل الربا أكل برصا مثلك ، ولكن دون رص الشرع . وإن عظم الشرع الربا بالحرع عنه فقد عصب أيضاً الصلح بالعصب وغيره وعظم الحياة . والنصير إن أكل دس بالحياة أو العصب من الكبائر فيه نظر . وذلك واقع في مظنة الشك . وأكثر ميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر ، بل ينبغي أن تختص الكبيرة بما

(١٢٢) الغموس : الكاذبة التي تنفس صاحبها في الإثم ثم في الشر .

لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضرورياً في دين .

فيبقى مما ذكره أبو طالب المكي في القذف ، الشرب ، والسر ، والغرار من الزحف ، وعقوق الوالدين .

## شرب الخمر :

أما الشرب لما يربى العقل ، فهو جدير بأن يكون من الكبائر . وقد ذهب عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضاً لأن من يحتصمه ، كما في العصب محظوظة بل لا يخرج من النفس دون العقل . فربما من الكبائر ولكن هذا لا يجرى في قطرة من الخمر ، فلا شك في أنه لو شرب ماء فيه قطرة من خمر لم يكن ذلك كبيرة . وإنما هو شرب ماء خمر . وبقطرة واحدة في عسل الشك . وإيجاب الشرع الحد به حتى تعظم . فبعد ذلك من الكبائر بالشرع . وليس في قوة البشرية وقوف على جميع أسرار الشرع فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع ، وإلا فالتوقف فيه مجال .

## القذف :

وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض . والأعراض دون الأموال في الرية . وتناولها مراتب . وأعظمها تناول بدمس ، بالإضافة إلى فاحشة الربا ، وقد عظم الشرع أمره . ونص صاعداً في نصيحة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة ، فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس ، وهو الذي نريد به الكبيرة الآن . ولكن من حيث أنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع ، ونفاس بمجرد لا يدل على كبره وعظمته . بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العمل الواحد إذا رأى إنساناً يزني ، قلله أن يشهد ، ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته . فإن لم تقبل شهادته فحده ليس ضرورياً في مصالح الدنيا ، وإن كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة حداثته . فإداه أيضاً يسحق بسكوت في حق من عرف حكم الشرع . فثما من ظن أن له أن يشهد وحده ، أو ض أنه يساعده على شهادة غيره ، فلا ينبغي أن يعمل في حقه من الكبائر



البحر:

وقد السحر، وإن كان فيه كبره كبيره، لا يعصته على الضر الذي يتولد منه من هلاك نفس، أو مرض، أو غيره

**الفرار من الزحف وعقوق الوالدين :**

وَأَمَّا الْفِرَارُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالتَّوَقُّفُ فِيهَا فَهُوَ قَدْ سَبَّحَ كُلُّ شَيْءٍ مِثْلَ  
الرَّحْمَةِ وَحَدَّثَهُمْ بِعَصَبِ أَمْرِهِ ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ مَسَاكِمِ  
وِلَادَتِهِمْ وَإِحْلَاقِهِمْ مِنْ أَوْطَانِهِمْ ، يَسُورُ مِنْ تَكْبَارِ إِذْ لَمْ يَمُتْ ذَلِكَ فِي السَّعْيِ  
عَشْرَةَ كَبِيرَةٍ ، وَهُوَ كَبَرُ مَا فِيهِمْ مِنْهُ ، وَتَوَقُّفُ فِي هَذَا أَيْضًا سَرَّ بَعْدَ ، وَلَكِنْ  
حَدِيثٌ يَدُلُّ عَلَى تَسْمِيَةِ كَبِيرَةٍ عَلَيْهِمْ بِكَثَرِ

مردرجع حوال الأمر إلى أنه يعنى التكبر . لا تكبره اصلوات احسن  
بحكم الشرع وذلك مما انقسم إلى ما علم أنه لا تكبره قطعاً ، وإلى ما يعنى أن  
تكبره ، وإلى ما يتوقف فيه والمرقب فيه بعضه مظلون للنفس والإثبات ،  
وبعضه مشكوك فيه ، وهو شك لا يرهله إلا من كتاب أو سنة . وإذا لا مطمع  
فيه ، فطلب رفع الشك فيه خال .

إذن قلت : فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها . فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده .

فأعلم أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإيهام ، لأن قلم التشكيك هي دار الدنيا . والكبرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث إنها كبرة . بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها ، كالسرقة والزنا وغيرهما . وإنما حكم الكبرة أن الصلوات الخمس لا تكفرها . وهذا أمر يتعلق بالآخرة ، والإيهام أليق به حتى يكون الناس غل وجل وحذر ، فلا يتجرعون على الصغائر اعتياداً على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغار بموجب قوله تعالى ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوَّنُ عَنْهُ لَكُمْ عُثْمٌ ﴾

ميتيكنكم) ولكن اجتناب الكثرة إذ يكفر العمرة بد اجتناب مع مقارفة  
والإرادة. كمن يتسكن من امرأة. ومن فواقص. فيكف نفسه عن الوقوع،  
فيقتصر على نظر أو لمس فإن جمدة نفسه بالك. عن الوقوع، أشد تأثيراً في  
توثير قلبه من إقدامه على النظر في إطلاعه. فيه معنى تكثيره. فإن كان  
عبداً، لو لم يكن امتناعه إلا منغرة للمعصية أو كان قادراً ولكن امتنع  
لخوف أمر آخر، فهذا لا يصح بتكثيره أصلاً وكل من لا يتهيأ حمر  
بطيحه، ولو أبيع له لما شربه، فاجتنابه لا يكثر عنه الصغار التي هي من  
مقدماته، كسماع الملامى والأوتار. نعم؛ من يتهيأ الحمر وجماع الأوتار،  
فيملك نفسه باعادة عن حمره ويطلقها لسماع، فمحده المس  
بالكفر. وقد فحور عن فقه الضمة التي ارتفع به من معصية السماع.

فكفى هذه أحكام أخروية ، ويجوز أن يبقى حكمها في محل الشك ، وتكون من منتهى البت ، فلا يعرف تعجيلها إلا بالصبر . . . يرد من بعد ، ولا جد جمع ، بل ورد بأعطاء محتملات . فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : « الصلاة إلى الصلاة كثررة كثررة » ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشتراك بالله وتترك السنة ونكت الصلوة . قيل ما ترك السنة ؟ في الخروج عن الجماعة ، ونكت الصلوة أن يبايع رجلاً ثم يخرج عليه بالسيف يقتله . وهذا ومثله من الأعط لا يحيد بالعدد كنه ولا يدل على حاد جمع ، فيبقى لا يحلله مهماً

وإن قُبِلَت الشهادة لا تعمل إلا لمن يجنب الكبائر، والورع عن الصغائر ليس شرطاً في قبول الشهادة، وهذا من أحكام الدنيا، فاعلم أنا لا نخص رد الشهادة بالكبائر. فلا خلاف في أن من سبغ الملائم، وليس الذبيح، ويحتج بخاتم الذهب، ويشرب في ألوان الذهب والعصاة، لا تقبل شهادته، ولم

73 41-2 (V6)

(٧٤) لقاء ٣٦  
(٧٥) حديث الصلاة في الصلاة كقراءة القرآن، لم يصح أن يصعد كقراءة القرآن إلا من ثلاث مشارك مائة ومركب الحنة  
وكنى الصفة الحديث البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «صلى الله عليه وسلم»

يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من كثر دون لشعبي رضى الله عنه : يد  
شرب الخمر البهيمية حدته ، ولم أورد شهادته . فقد جمعه كبره بمرحوب أحد ،  
ولم يرد به الشهادة . فدل على أن الشهادة نقياً وبشراً لا تور على صغائر  
والكبار . بل كل الذنوب تندح في العدالة ، إلا ما لا يخفى الإنسان عنه غالباً  
بضرورة مجارى العادات ، كالعبية ، والتجسس ، وسوء الفتن ، والكذب في  
بعض الأقوال ، وسماع البقية ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأكل  
الشبهات ، وسب الولد والعلام ، وضربها بحكم المصعب زانياً على المصلحة ،  
وإكرام السلاطين الظلمة ، ومصادقة الفجار ، والتكامل عن تعليم الأهل  
والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين . فهذه ذنوب لا يتصور أن يمتنع  
الشاهد عن قلبها أو كثورها إلا بأن يتزل الناس ، ويحذر لأمر الآخرة ،  
ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على صيته مع المبالغة بعد ذلك . ولو لم يبق إلا  
قول مثله لعم وجوده ، وبعثت الأحكام . والنهارات . وليس ليس الحرير ،  
وسماع الملاهي ، والعبه بالتردد ، وبجائسة أهل الشرب في وقت الشرب ،  
والخسوة بالأجنبيات ، وأمثال هذه الصغائر من هذا القليل . قال في مثل هذا  
المنهاج ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة وردّها ، لا إلى الكثرة والصغرة .  
ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واطب عليها لأثر في رد  
الشهادة . كمن اتخذ البقية وثلب الناس عادة . وكذلك بجائسة الفجار  
ومصادقتهم . والصغيرة تكبر بالمواظبة ، كما أن المباح يصغر بالصغيرة بالمواظبة  
كاللعب بالشطرنج ، والفرم بالساء على القوام وغيره . فهذا بيان حكم الصغائر  
والكبار .



### المحل الثالث

## بيان كيفية توزيع الدرجات والمدرجات في الآخرة على الحسنات والنسيئات في الدنيا

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة . والآخرة من عالم العيب  
والملكوت . وأغنى بالدنيا حالتك قبل الموت ، والآخرة حالتك بعد الموت .  
فدنيك وأخبرتك صفاتك وأحوالك يسمى القرب الدال منها دنيا ، والمتأخر  
آخرة . ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة بما الآن نتكلم في الدنيا وهو  
عالم الملك ، وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم سكوت

ولا يتصور شرح عالم سكوت في عالم الملك لا بصرف الأمان . ولذلك  
قد نص في **« وَتِلْكَ الْأَنْفَالُ تُضْرِبُهُمُ الْبَاسُ وَهُمْ يُغْلَبُونَ »** <sup>٧٦</sup>  
وهذا لأن عالم الملك يوم بالإضافة إلى عالم العيب . وبذلك قد <sup>٧٧</sup>  
« النَّاسُ يَوْمَئِذٍ مُّسْمَرُونَ » وما سيكون في لحظة لا يتيسر لك في اليوم ،  
إلا لأمتن ، وصحوة إلى التعبير ، فكذلك ما سيكون في لحظة الآخرة لا يتيسر في  
يوم الدنيا إلا في كثرة الأمثال . وأعني بكثرة الأسر ما يعرفه من علم لغيره .

وبكيفية منه إن كنت مضطراً ثلاثة أمثلة . ضد جاء رجل إلى ابن سرجين  
فقال رأيت كذا في يدى حاتم أنخم به أهواه لرجل وعروج النساء فقال  
بنت مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر . قل صدقت . وجاء رجل آخر  
فقال : رأيت كأنى أصيب الزيت في الزيتون فقال إن كان تحت حذيرة  
أشربت ففنى عن حالها ، فإنها أمك سببت في صغرك ، لأن الزيتون أصل

(٧٦) التنبؤات - ٤٣ .

(٧٧) حديث الناس يومئذ ما لا يأتوا به : لم أجدته مرفوعاً وإنما جرى إلى عن ابن أبي طالب .

الزيت . فهو يرد إلى الأصل . فنظر هنا جاريته كانت أمه ، وقد سببت في صبره . وقال له آخر : رأيت كأي أفلد الدبر في أعناق الخنازير . فقال إنك يمين الحكمة غير أهلها ، فكان كما قال .

واستعمل من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال . وإنما نسي بالمثل أداء المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وجد صادقاً . وإن نظر إلى صورته وحده كادماً . فنؤيد إن نظر إلى صورة الخاتم . والحكم به هل الفروج رآه كادماً . فإنه لم يعم به مص . وإن نظر إلى معناه وجد صادقاً ، إذ صبر منه روح الختم ، ومعناه ، وهو الختم الذي يراد الختم له . وليس للأبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال ، لأنهم كانوا أن يتكلموا الناس على قدر عقولهم ، وقدر عقولهم أسهم في النوم ، والناس لا يكشف له عن شيء إلا بمثل ، فإذا ما تروا نسبوا وعزموا أن المثل صادق . وذلك قال ﷺ (٧٨) : قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْحَابُ مِنَ أَصَابِعِ الرَّخْمِينَ ، وهو من المثل الذي لا يعقله إلا العالمون . فأما الجاهل فلا يجاور قدره ظاهر المثلان ، لجهله بالتمثيل الذي يسمى تأويلاً ، كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تمييزاً ، فثبت لله تعالى هذا وأصبحاً ، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً .

وكذلك في قوله ﷺ (٧٩) : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَنْ صُورَتِهِ ، فإنه لا يعمهم من الصورة إلا اللون والشكل وعينه ، فثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى الله عن قوله علواً كبيراً .

ومن هنا زل من زل في صفات الإلهية ، حتى في الكلام ، وجعلوه صوتاً وحرفاً إلى غير ذلك من الصفات ، والقول فيه يطول .

وكذلك قد يرد في أير الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها الملعن ، بمجمود نظره هل ظاهر المثل وتنقصه عنه كقوله ﷺ (٨٠) : يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي

(٧٨) حديث قلب المؤمن بين أصابع الرحمن : تقدم

(٧٩) حديث أن الله خلق آدم على صورته : تقدم

(٨٠) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كجش أملح فيذهب . . . من حديث أبي سعيد .

صُورَةَ كَجَشٍ أَمْلَحٍ فَيَذْبَحُ ، فيثورة الملعن الآخر يكذب ، ويستدل به على كذب الأبياء ويقول : يا سبحان الله - الموت عرض ، والكجش جسم ، فكيف ينقلب العرض جسماً هل هذا إلا محال ؟ ولكن الله تعالى عز وجل هؤلاء الخلق عن معرفة أسرارهم فقال (٨١) : زُيِّنَ لَهَا إِلَى اللَّهِ تَحُونٌ (٨٢) ، ولا يدري المسكين أن من قال : رأيت في منامي أنه جيء بكجش ، وقبل هذا هو الوباء الذي في الهند ، ودبح ، فضل المعبر . صدقت : والأمر في رأي ، وقد يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط ، لأن المذبح وقع بين من ، فإذا المعبر صادق في تصديقه . وهو صادق في رؤيته . ونرجع حصته ذلك إلى أن موكل بالرؤيا ، وهو الذي يطلع الأرواح عند النوم على ما في النوح المحفوظ ، عرّفه بما في النوح المحفوظ مثال صبره به لأن الناس إنما يحسن مثال فكان مثاله صادقاً ، وكان معناه صحيحاً .

فالرسل أيضاً يتكلمون الناس في الدنيا ، وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم ، فيوصلون المعاني إلى أفهامهم بالأمثلة ، حكمة من الله ، ولطفاً بعباده ، وتيسيراً لإدراك ما يصحزون عن إدراكه دون ضرب أمثال . فقله يؤتى بالموت في صورة كجش أملح ، مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت ، وقد حبلت القلوب على التأثر بالأمثلة ، وثبت تعالى فيها بواسطة . ولذلك عبر القرآن بقوله (٨٣) : كُنْ فَيَكُونُ (٨٤) عن نهاية أسرته ، وعبر ﷺ ، بقوله : قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ تَبْنَ أَصَابِعِ الرَّخْمِينَ ، عن منعة التقلب وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع الباديات ، فلنرجع الآن إلى العرض

فالمقصود أن تعريف تورع الدرجات والدركات على الحسنة والسيئة ، لا يمكن إلا بضرب المثال ، فلتعهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته ، فقول :

(٨١) العنكبوت ١٣

(٨٢) من ٨٢

من في الآخرة ينقسمون أصنافاً وتفاوتت درجاتهم ودرجاتهم في السعادة والتعذيب تفاوتاً لا يدخل تحت الحصر ، كما تفاوتوا في السعادة الدنيا وشقاوتها . ولا تفارق الآخرة في هذا المعنى البتة ، فإن مذهب الملك والملوك واحد لا شريك له ، وسنة الصادرة عن إرادته الأثرية مطردة لا تبدل لها ، إلا أن إب عجزنا عن إحصاء آحاد المرحاب ، فلا نعجز عن إحصاء الأعداء من معول .

## أقسام الناس في الآخرة

الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام : هالكين ، ومعذبين ، وناجين ، وفائزين . ومثاله في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم ، فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ، ويخلع بعضهم فهم الناجون ، ويخلع على بعضهم فهم الفائزون . فإن كان الملك عادلاً ، لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق ، فلا يقتل إلا جاحداً لاستحقاق الملك معانداً له في أصل الدولة . ولا يعذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته . ولا يخلع إلا معترفاً له برتبة الملك ، لكنه لم يقصر ليعذب ولم يقدم ليخلع عليه . ولا يخلع إلا على من أبلى عمره في الخدمة والنصرة ، ثم ينسى أن تكون صلح الفائزين مساوية الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة ، وإهلاك الهالكين إما تحقيراً بحر الرقبة ، أو تنكيلاً بالمشة ، بحسب درجاتهم في المعانة ، وتعذيب المعذبين في الخدمة ، والشدة ، وطول المدة وقصرها ، واتحاد أنواعها واختلافها ، بحسب درجات تقصيرهم .

فتقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر . فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون . فمن هالك ، ومن معذب مدة ، ومن ناج يخلع في دار السلامة . ومن فائز والفائزون ينقسمون إلى من يخلعون في جنات عدن ، أو جنات المأوى أو جنات الفردوس . والمعذبون

ينقسمون إلى من يعذب قليلاً ، وإلى من يعذب ألف سنة إلى عدة آلاف سنة ، وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الحديث (٨٣) . وكذلك الهالكون الأيسر من رحمته الله تتفاوت درجاتهم . وهذه المراتب بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي ، فلندكر كيفية توزيعها عليها رتبة الهالكين :

الرتبة الأولى : وهي رتبة الهالكين . وهي بائس من البائسين من رحمته الله تعالى ، إذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربه آيس من رضا الملك وإكرامه ، فلا تغفل عن معاني المثل . وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمعرضين ، المتجردين للدنيا ، المكذبين بالله ورسمه وكتبه . فإن السعادة الأخروية في القرب من الله والظفر إلى وجهه ، وذلك لا ينال أصلاً إلا بالمعرفة التي يمر بها بالإيمان والتصديق . والجاحدون هم مكرون . والمكذبون هم الأيسر من رحمته الله تعالى أبداً الآباء ، وهم الذين يكذبون برب العالمين ، وأنيابهم المرسلين ، إنهم عن ربه يومئذ لمحبوبون لا محالة ، وكل محبوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشبهه لا محالة . فهو لا هيلة يكون مختزلاً لرجههم من النار الفراق . ولذلك قال العارفون : ليس خوفنا من نار جهنم ، ولا رجائنا من المحور العين ، وإنما مطلبنا اللقاء ، ومهربنا من الحجاب فقط ، وقالوا : من يعذب الله بموضع فهو لهيم ، كأن يحمده لطلب جنته . أو لحب ما به بل العارف يحمده مداته . فلا يعذب إلا دانه فقط . وفي المحور العين والعراكه ، فقد لا يشتهيها . وأما النار ، فقد لا يتقها . إذ ناز الفراق إذا استولت ربما غلت النار المحرقة للأجسام . فإن ناز الفراق ناز الله الموقدة ، التي تطلع على الأقدار . ونار جهنم

(٨٣) حدث أن آخر من يخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة : الفردوس بشك في يوم الأمل من ... أن مرره ... حبيب في حديث قال فيه وأطروهم سكة في كل قلبا من يوم غلبت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة .

لا شغل لها إلا مع الأجسام ، وألم الأجسام يستحق مع ألم الفؤاد ، ولذلك قيل :

وفي فؤاد الحب نار جوى أحمر فار الجميع أبردها

ولا ينبغي أن تتكرر هذا في عالم الآخرة ، إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا ، فقد روي من غلب عليه الوجد فعدا على النار ، وعلى أصول القصب المجارحة للقدم ، وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه . وترى الغصبان يستولى عليه الغضب في القتال ، فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بهلق الحال ، لأن الغضب يورث الغضب . قال رسول الله ﷺ : **الغضب قطعة من النار** ، واحترق الفؤاد أشد من احترق الأجساد ، والأشد بطل الإحساس بالأضعف كما تراه ، وليس فلاك من الدار والسيف ، إلا من حيث إنه يفرق بين جزأين . يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الأجسام . فالذي يفرق بين القلب وبين عيوبه لدى يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاماً من تأليف الأجسام ، فهو أشد إيلاماً إن كنت من أبواب البصائر وأرباب القلوب . ولا يعد أن لا يترك من لا قلب له شدة هذا الألم ، ويستحقه بالإضافة إلى ألم الجسم . فالصبي لو غمر به ألم الحرمان عن الكرة والصولجان . وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان ، لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلاً ، ولم يعد ذلك لما ، وقال . العنود المبداء مع الصولجان ، أحب إلي من ألف سرير لسلطان مع الخنوس عليه . بل من تعلبه شهوة البطل . ورحم بين شهوة وحبوء ، وبين فعل جميل يقهر به الأعداء ، ويفرح به الأصدقاء ، لأثر الشهوة والخلوة .

وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوباً ، ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذياً . وذلك لمن استرقته صفات اليأس واليأس ، ولم تظهر فيه صفات اللاتكدة التي لا يناسبها ولا يلائمها إلا القرب من رب العالمين ، ولا يؤمنها إلا البعد والاحباب . وكما لا يكون النوى إلا في السان .

(٨٤) حديث الغضب قطعة من النار . فخرماني من حديث أبي سعيد نحوه وقد تقدم .

والسمع إلا في الآذان ، فلا تكون هذه الصفة لا في القلب . من لا قلب له ليس له هذا الحس ، كمن لا سمع له ولا بصر له . لفة الأذن ، وحس الصور والأنوار . وليس لكن إسدال قلب . وإن كان له صح فوله تعالى ﴿ **إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ** ﴾ (٨٥) . من م يتذكر بانقراض معصية من القلب . وليست أغنى بالقلب هذا الذي تقسمه عظام الصدر ، بل أغنى به السر الذي هو من عالم الأمر . وهو اللحم الذي هو من عالم الخلق حرشه ، والصدر كرسبه ، وسائر الأعضاء عائله وملاجه والله الخلق والأمر جميعاً . وبكى ذلك السر ليدي قال الله تعالى فيه ﴿ **قُلْ لِرُوحٍ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾ (٨٦) هو الأمر والمملك : لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق نيباً ، وعالم الأمر أمر على عالم الخلق وهو اللطيفة التي إذا صلحت صلح سائر الجسد ، من عرقها فقد عرق نفسه ومن عرق نفسه فقد عرق ربه

وعند ذلك يشم العبد مبادئ ورائح المعنى المطوى تحت قوله ﷺ : **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آقَمَ عَلَى صُورَتِهِ** ، ونظر بعين الرحمة إلى الحاملين له على ظاهر لفظه ، وإلى المتعسفين في طريق تأويله وإن كانت رحمة للحاملين على اللفظ أكثر من رحمته للمتعسفين في التأويل لأن الرحمة على قدر المصيبة ، ومصيبة أولئك أكثر ، وإن اشتركوا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر . فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . وهو حكمته يختص بها من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

ولنعد إلى الغرض ، فقد أرغبنا الطول وطولنا النفس ، في أمر هو أجل من علوم المعاملات التي تقصدها في هذا الكتاب . فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين ، وشهادة ذلك من كتاب الله ورسوله ﷺ لا تدخل تحت الحصر ، فلذلك لم نوردنا .

الرتبة الثانية : رتبة المذنبين . وهذه رتبة من غلب بأصل الإيمان ، ولكن قصر في الوفاء ، فإن رأس الإيمان هو التوحيد ، وهو أن لا يعبد إلا الله . ومن

اتبع هواه فقد اتعد إليه ، فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة . بل معنى قولك لا إله إلا الله ، معنى قومه تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾<sup>(٨٧)</sup> وهو أن تدرك الكلية غير الله ، ومعنى قومه تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾<sup>(٨٨)</sup> وما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من سحر ، وأحد من السيف ، مثل الصراط الموصوف في الآخرة ، فلا يهلك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير ، إذ لا يخلو عن قباح الهوى ولو في أمر قليل ، وذلك قادح في كمال التوحيد ، بقدر ميله عن الصراط المستقيم . لذلك يقتضى لا محالة نقصاناً في درجات القرب ، ومع كل قصار ناراً : ناز الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ، ونار جهنم كما وصفها القرآن . فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذباً مرتين من وجهين ، ولكن شدة ذلك العذاب وحسنه ، وتفاوته بحسب طول امدته ، إنما يكون بسبب أمرين : أحدهما قوة الإيمان وضعفه ، والثاني كثرة اتباع الهوى وقلة .

وإذ لا يخفى بشرى غالب الأمر عن واحد من الأمرين ، قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِيْرَادُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حُتْمًا مَقْصُومًا ثُمَّ لَنُنْصِيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَلْزَمُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴾<sup>(٨٩)</sup> ولذلك قال المخالفون من السلف ، إنما خوفنا لأن نبتأ على النار وردود ، وشككنا في السجدة . وما روى الحسن الخضر الوردي<sup>(٩٠)</sup> فحين يخرج من النار بعد ألف عام . وأنه ينادى يا حنان يا منان . قال الحسن : يا ليتنى كنت ذلك الرجل

وأعلم أن في الأخبار ما يدل على أن أبخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة ، وأن الاختلاف في امدته بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة ، حتى قد يبرز بعضهم على النار كبرق خاطف ، ولا يكون له فيها لبث . وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة ، من اليوم ، والأسبوع ، والشهر ، وسائر المدد .

(٨٧) الأسماء ٩١ : فصلت ٣٠ : (٨٨) مريم ٧١ : (٨٩) مريم ٧٢ : (٩٠) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان : أحمد وأبو يعلى من رواية أبي قتادة السلمي عن أنس وأبي قتادة السلمي وأحمد بن حنبل بن مهرون

وير الاختلاف بالشدة لا بهاية لأعلاه ، وأدناه . بحيث يندم في الحساب ، كما أن المثل قد يعذب بعض المتقصرين في العمل بالداخنة في الحساب ، ثم يعمو . وقد يضرب بالسياط ، وقد يعذب به آخر من العذاب .

ويطرق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة ، وهو اختلاف لأبواب إذ ليس من يعذب بمصادرة مثل فقط . كمن يعذب بأخذ المال ، وقيل الولد واستباحة الحرم ، وتعذيب الأقارب ، وعصيان ، وقطع اللسان ، واليد ، والأف ، والأذن وغيره . فهذه الاختلافات تنسب في عذاب الآخرة ، في سببها قواعد شرع . وهي حسب اختلاف قومه . وصعده . كرهه . تصدع . وقتب . كثرة نسيب . وقتب .

أما شدة العذاب فيشده قبح السيئات وكبرها . وأما كثرة فيكفرها . وأما اختلاف أنواعه فياختلاف أنواع السيئات . انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان ، وهو المعنى قوله تعالى ﴿ وَمَا وَكُنْتَ بِظَالِمٍ لِنَفْسِكَ ﴾<sup>(٩١)</sup> ويقول تعالى ﴿ لِيَوْمَ تَجْرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾<sup>(٩٢)</sup> ويقول تعالى ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾<sup>(٩٣)</sup> ويومر تعالى ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾<sup>(٩٤)</sup> إلى غير ذلك مما ورد في الكتب وسه . من كون العقاب و - ب حرار عن الأعمال . وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه . وجانب العفو والرحمة أرجح ، إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبياً عليه السلام<sup>(٩٥)</sup> « مَبْتُحٌ رَحِمَتِي غَضَبِي » وقال تعالى ﴿ وَإِنْ لَكَ حَسَنَةٌ فُضَاعِلُهَا وَتُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾<sup>(٩٦)</sup> فإذا هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات ، معبومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظناً . ومستنده ظواهر الأخبار وبوع حذس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الأخبار .

(٩١) فصل ١٦ : (٩٢) مريم ١٢ : (٩٣) مريم ٢٩ : (٩٤) مريم ٨٠ : (٩٥) حديث سبقت رحمتي غضبي : مسلم من حديث أبي هريرة (٩٦) النساء : ١٠

فقول كل من أحكم أصل الإيمان، واجتنب الخبيث الكبار، وأحسن جميع  
 الفرائض، أعنى الأركان الخمسة، ولم يكن منه إلا صلاته مصرفة لم يصرف  
 عيب، فينبه أن يكون عذبه المصفاة في الحساب فقط، فإنه إذا حوسب  
 رحمت حالته على سيئاته، إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس،  
 وجمعة وصوم رمضان، كفرت ما بين. وكذا احتساب لكثير بحكم  
 بعض القرآن مكفر للصغائر. وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع  
 الحساب. وكل من هذا حاله فقد تفتت مواريثه فينبغي أن يكون بعد ظهور  
 الرجحان في الميزان، وبعد الفراغ من الحساب، في عيشة راضية. نعم:  
 لتعاقبه بأصحاب الجن، والمقربين، وغروله في جنات عدن، أو في الفردوس  
 الأعلى، فكذلك يتبع أصناف، لإيمانه، لأن الإيمان يمدد. تقبلي كبرياء  
 العوام، يصدقون بما يستمعون ويستمرون عليه، وإيمان كشمي يحصل  
 بانسراح الصدر بتور الله، حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه  
 متضح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره، إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى  
 وصفاته وأفعاله. فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الأعلى، وهم  
 على غاية القرب من الملأ الأعلى، وهم أيضاً على أصناف: فمنهم السابقون،  
 ومنهم من دوسهم، وتعاونهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى؛ ودرجات  
 العارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر، إذ الإحاطة بكنهه جلال الله غير  
 ممكنة، وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق، وإنما يفرغ فيه الغواصون بقلوب  
 قواهم، ويقدر ما سبق لهم من الله تعالى في لأر. دهرق. الله تعالى  
 لا نهاية لمازله فالساكنون سبيل الله لا نهاية لفرجاتهم.

وأما المؤمن إيماناً تقديماً من أصحاب الجن. ودرجته دون درجة  
 المقربين. وهم أيضاً على درجات. فالأعلى من درجات أصحاب الجن تقارب  
 رتبته رتبة الأعلى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر، وأدى  
 الفرائض كلها. أعنى الأركان الخمسة، التي هي النطق بكلمة الشهادة  
 باللسان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر، أو أهمل بعض أركان الإسلام. فإن تاب

توبة نصوحاً قبل قرب الأجل، التحق به. ارتكب. لأ. نائب من الدب  
 كمن لا ذنب له والثوب المصقول كالنعل. عويص أصلاً.

وإن مات قبل التوبة، فهذا أمر يخطر على لوت. إذ ربما يكون موته هل  
 الإصرار سبباً لتزول إيمانه، فيختم له به. تحتاجه لاسمياً إذ كان إيمانه  
 تقليدياً، فإن التقليد وإن كان جزءاً فهو في الاستعمال بأدلى شك وخيال  
 والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء. كلاهما إن ماتا على الإيمان  
 بعدان، إلا أن يعرف الله، عذاباً على حساب رتبة في الحساب. وتكون كثرة  
 العقاب من حيث المدة، بحسب كثرة ما إصرار. ومن حيث الشدة،  
 بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف. ع. بحسب اختلاف أصناف  
 السيئات. وبعد انقضاء مدة الحساب في البلد المقتلون في درجات  
 أصحاب الجن، والعارفون المستبصرون في أعلى عليين. ففي الخبر (٩٧) وأما  
 من يخرج من النار يغطي مثل الثياب كلب مبرية أصناف، فلا تنص أن المراد  
 به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام كذا. بل فرسخ بفرسخين، أو عشرة  
 بعشرين، فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال. بل هذا كقول القائل: أحد  
 منه جهلاً وأعطاه عشرة أمثاله، وكان الجمل مائة عشرة دانير، فأعطاه مائة  
 دينار. فإن لم يفهم من المثل إلا المثل في النور. تنقل، فلا تكون مائة دينار لو  
 وصحت في كمة الميزان، والجمل في الكفة لأخرى، عشر عشرة. بل هو  
 موازنة صفات الأجسام وأرواحها، دون أشخاصها وهياكلها، فإن الجمل  
 لا يقصد لشكله، وطوله وعرضه ومساحته، بل لمابه مروحة المالية،  
 وجسمه اللحم والدم، ومائة دينار عشرة أمه، بالموازنة الروحانية، لا بالموازنة  
 الجسمانية. وهذا صادق عند من يعرف روحانية من الذهب أو الفضة من  
 لو أعطاه جوهرة وربما مثقال، وقيمتها مائة دينار، وقال أعطته عشرة أمثاله  
 كان صادقاً. ولكن لا يدرك صفته إلا جوهرية. فإن روح الجوهرة  
 لا تترك بمجرد البصر، بل بغضنة أخرى وراء البصر. فذلك يكذب به

(٩٧) حديث إن امرئ خرج من النار يغطي مثل الثياب كلبها عشرة أصناف: ينطق عليه من حديث  
 ابن مسعود.

المعى على القروى واليدوى ، ويقول ما هذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ، ووزن الحمل ألف ألف مثقال ، فقد كذب في قوله أن أعطيته عشرة أمثال . والكاذب باسحق هو المعنى ولكن لا سبل إلى تحقيق ذلك عنه إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال ، وأن يحصل في قلبه النور الذى يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال ، فعند ذلك ينكشف له الصديق . والعارف تهاجر عن تفهم التقليد القاصر صديق رسول الله ﷺ في هذه الموازنة إذ يقول عليه السلام (٩٨) : **الجنة في السموات** ، كما ورد في الأحبار ، وسميت من لذيها ، فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا ؟ وهذا كما يعجز البالغ عن تفهم المعنى تلك الموازنة . وكذلك تفهم اليدوى .

وكأن الجوهرى مرحوم إذا يلى باليدوى والقروى في تفهم تلك الموازنة ، فالعارف مرحوم إذا يلى باليدوى الأبهة في تفهم هذه الموازنة . ولذلك قال ﷺ (٩٩) : **ارْخُمُوا فَلَا تَقْلَقُوا عَالِمًا بَيْنَ الْجَهَنَّمَ وَغَيْرِ قَوْمِ الْفَقْرِ وَغَيْرِ قَوْمِ قُلْ** ، والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب ، ومقاماتهم تقصير عقول الأمة فتنة لهم ، وسجن ، وإساءة من الله وبلاء موكل به سبق تركه القضاء الأول ، وهو المعنى بقوله عليه السلام (١٠٠) : **الْبَلَاءُ فَوْقَ كُلِّ بِلَالِيَاءٍ ثُمَّ الْإِثْمُ فَاَلْأَثْمُ** .

فلا تغفل أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام ، وهو الذى ينزل بالبدين ، فببلاء روح عليه السلام أيضاً من البلاء العظيم ، إذ يلى جماعه كان لا يريد به دعاؤه إلى الله إلا فراراً ، ولذلك لما تأدى رسول الله ﷺ بكلام بعض الناس

(٩٨) حديث كرون الجنة في السموات : بلغ من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومعه عرش الرحمن .

(٩٩) حديث لرحمة ثلاثة خلق بين الجهنم والجنة . ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمس عن أنس ومضى ضعيف ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال عالم القالب به القيان وبه أبو بصير وصحبه وهب بن وهب أحد الكذابين .

(١٠٠) حديث البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولاء ثم الأمثل فالأفضل : هو معنى وصحبه السائق في الكورى وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاءه فذكره دون ذكر الأولاء ونظروا من حديث فاطمة أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون . الحديث .

قوله : **رحم الله أجمعى موسى** فقد أودى بكثرة من هذا قصور . وقد لا حيز إلا من لا يسلو ، ولا حيز لا يسلو ، ولا حيز لا يسلو ، ولا حيز لا يسلو . والجهنم وإن كانت قتلست لأودى من حيز من لا يسلو وأنواع البلاء . والإخراج من البلاد . وسعيه به من لا يسلو . وشهادة غيبه . وكفر والخروج من الدين . وأجاب أن يكون أهل معرفة عند أهل الجهل من الكهنة ، كما يجب أن يكون معص من لا يسلو . وكثير جد هرة صغيرة عند الجاهل من الصغار من صغيرين .

فإذا عرفت هذه الدقائق ، فمضى حيزه عليه السلام به بعض آخر من جرح من النار مثل الدنيا عشر مرات ، وبذلك أن يصير بتصيدك على ما يدركه كالمصير وحوس فقط . فكأن حيز من لا يسلو ، لأن حيز بشركتك في حوس حيز ، وبذلك أن يمدى حيز من لا يسلو ، وعرض على السموات . والأرض . وحيز ، فمضى أن يمدى حيز من لا يسلو ، وقد رآه ما جرح عن عدم الحواس الخمس ، لا يصادف إلا في عالم مدى حيز الذى عرفت به الحواس وسائر البهائم . فمضى ذهن عن ذلك ، وعصه ، فمضى . وضع سرحة البهائم ، ولم يجاوز الحواسات فهو الذى أهلك نفسه بتعصيه ، ونسبها بالإعراض عنها ، فلا تكون كما بين سبوا لله ، فمضى نفسه . فكل من لا يعرف لا يدرك بالحواس فقد نسى الله إذ ليس ذات الله مدرك في هذا العالم بالحواس الخمس . وكل من نسى الله أنساه الله لا محالة نفسه ، وبذلك من نسي البهائم ، وترك الترقى إلى الأفعى الأعلى ، وغاب في الأمانة التى أودعه الله تعالى وأمنه عليه كاهراً لأنعمه ومتعرضاً لنقمته . إلا أنه أسوأ حالاً من البهيمة ، فإن البهيمة تتخلص بالموت وأما هذا فعنده أمانه سترجع لا محالة إلى مودعها ، فإليه مرجع الأمانة ومصيرها : وتلك الأمانة كانت شمس الزاهرة ، وإنما سقطت إلى هذا القالب العاقى وعربت فيه ، وستطلع هذه الشمس على عراب هذا القالب من بعثها . وتعود إلى بارئها وغالقها ، إما مظلمة منكسفة وإما زاهرة مشرقة . والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن حصرة الربوبية ، والمظلمة أعمى واجعة إلى الحصرة ، إذ المرجع

(١٠١) حديث رحم الله أنسى موسى لقد أودى بكثرة من هذا قصور . الحديث ابن سعد .



والتصدي لكل إليه ، إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل  
سفل . وحدث قل تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذُ الْمُخْرُجُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ  
رَبِّهِمْ ﴾ من أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون ، قد انقلب وجوههم إلى  
أفئدتهم وانتكست رءوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل ، وذلك حكم الله  
فيمس حرمة توفيقه ، ولم يده طريقه ، فعمود بالله من الضلال ، والبرول إلى  
سازل الجهال

فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ، ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو  
أكثر . ولا يخرج من النار إلا موحد . ولست أعنى بالتوحيد أن يقول بلسانه  
لا إله إلا الله ، فإن اللسان من عالم الملك والشهادة ، فلا يسمع إلا في عالم الملك ،  
فيضع السيف عن رقبته ، وأيدي الغائبين عن ماله ، ومدة الرقبة والمال مدة  
الحياة . فحيث لا تبقى رقبة ولا مال ، لا يسمع القول باللسان . وإنما يسمع  
الصدق في التوحيد . وكال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله وعلامته  
أن لا يعصب عن أحد من الخلق بما يجري عليه ، إذ لا يرى الوسائط ، وإنما  
يرى مسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل . وهذا الحيد مصبوت . فمن  
الناس من له من التوحيد مثل الجبال ، ومنهم من له مثقال ، ومنهم من له مقدار  
خرقة وحرة . فمن في قلبه مثقال دينار من إيمان ، فهو أول من يخرج من النار .  
وفي الخبر يقال <sup>(١٠٣)</sup> « أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ »  
وآخر من يخرج من في قلبه مثقال درة من إيمان . ومن بين المثقل والبدية على  
قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقل وبين طبقة الدرّة ، والموازنة  
بالمثقل والدرّة على سبيل ضرب المثل ، كما ذكرنا في موازنة بين أعين الأموال  
وبين النقود . وأكثر ما يدخل الموحدين النار مقام العباد . فديوان العباد هو  
الدعوان الذي لا يترك . فأما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير إليها . فمن  
الأثر أن العبد ليوقف بين يدي الله تعالى ، وله من الحسنات أمثال الجبال ، ثم  
سقط له لكأن من أهل الجنة ، فيقوم أصحاب المظالم ، فيكون قد سب عرض

(١٠٢) السجدة

(١٠٣) حديث أخرجه من النار في قلبه مثقال دينار من إيمان - الحديث تقدم

هذه ، وأحد من هذه ، وحسرت هذه فبشعر . حساته حتى لا يبقى له  
حس ، فتقول ملائكة بار بار هذا قد فسد حسانه ، ومنى صبور كبير  
فقول الله عز وجل : ﴿ تِلْكَ مِنْ سِتْرِكَ عَنِ سَبِّهِمْ ﴾ . وحسوا له حسناً إلى النار  
وكا بهلك من سببت غيره بصرخ القصاص فكذلك ينجز المظلول حسه  
بعدم ، إذ يصح فيه عوفاً عما سببه . وقد حكى عن ابن الجلاء ، أن بعض  
إخوته اعتبه . ثم أرسى إليه يسحه . فقال : لا أفعل ليس في صحيفتي  
حسنة أفضل منها فكيف يحسبه ؟ وقال : وعيره : ذنوب إخواني من  
حسائي . يد أن أرسى بها صحيفتي .

فهذه مآزداً ذكره من اختلاف العبد في لمعاد في درجات السعادة  
وسوءه . وكل ذلك حكمه من سبب ، وهي حكم الصيب على مريض  
شبه يموت لا محالة لا يسر علاج . وعلى من آخر بأن عارضة تخفيف  
وعلاجه حين . فحدث ض ينسب في أكد لأحوال . ولكن قد تنوق إلى  
المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر العيب ، وقد يساق إلى دى  
العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه . وحدث من أمر رب الله تعالى  
الحقبة في أرواح الأحياء وعموض الأسباب في ربها مسبب الأسباب بقدر  
معوم . إذ ليس في قوة البشر الوقوف على دنها ، فكذلك الحجة والبرز في  
الآخرة لما أسباب خفية ، ليس في قوة البشر الاطلاع عليها . يعبر عن ذلك  
السبب الخفى المفقى إلى التحفة بالعمو ورضا ، وعما يعصى إلى الهلاك  
بالمعصب ولا يتم . ووراء ذلك سر المشقة لإتية الأريّة ، التي لا يصع الخلق  
عليها . فذلك يجب عليها أن تجوز العفو عن العاصي وإن كثرت سيئاته  
الظاهرة ، والنفس على الطبع وإن كثرت سيئاته الباطنة . فمن الاعتدال على  
لتعوى بالتقوى لا تغيب . وهو أغمض من أن يطبع عليه صاحبه ، فكيف  
غيره ! ولكن قد اكتشف لأسباب القلوب أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفى  
فيه يقتضى العفو ، ولا غصب إلا بسبب يرضى الله تعالى .  
ولولا ذلك لم يكن العفو والغصب جزاء على لأعمال والأوصاف ، ولو لم يكن  
جزاء لم يكن عدلاً ، ولو لم يكن عدلاً لم يصح قوله تعالى ﴿ وَمَا زُنْتُ بِظُلْمٍ ﴾



البحر عنه في هذا العلم . فهو الذي أحله قومه تعالى ﴿ قَلَّا نَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١١١) وقوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . والعارفون مطيعهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم . وأما الحور ، والقصور ، والفاكهة واللبن ، والعسل والخمر ، والحنى والأساور ، فإيهم لا يحرصون عليها ، ولو أعطوها لم يقموا بها . ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم ، فهي غاية السعادات ، ونهاية اللذات ولذلك قيل لراحة العبدية رحمة الله عليها : كيف رغبتك في الجنة ؟ فقالت الجارية الدار . فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار ورغبتا ، بل عن كل شيء سواه ، حتى عن أنفسهم . ومثاقم مثال العاشق المستتر بمشوقه ، المسترق همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه ، فإنه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه

في بلد ويحس من هذه الحالة بأنه في عن نفسه . ومما أنه صار مستغرقاً بغيره ، وصارت محبته هي واحداً وهو محبوه ، ولم يبق فيه متسع لمحور محبوه حتى بلغت إليه ، لا لنفسه ولا غير نفسه . وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قررة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر ، كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والأحزان على قلب الأصم والأكمه ، إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ، ويعلم قطعاً أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته ، فالدنيا حجاب على التحقيق ، وبرغمه يكشف العطاء ، فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة ، وأن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون .

بهذا القدر كاف في بيان تدرج الدرجات على الحسنة ، والله الموفق بلطفه .



## الفصل الرابع بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب : منها الإحسان والمواظبة . وذلك قيل لا صغيرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع استغفار . فكبيرة واحدة تنصهر (١١١) ولا يقيمها مثله لو تصير ذلت ، كان الصغير - أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها . ومثال ذلك قطرات من الماء تقع من الحجر على قوال متوثر فيه ، وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة - ينثر . ولذلك قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ الْأَعْمَالِ أَقْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّتْ » . أي شيء تستبأن بأخذها . وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل ، فالصغير المنصهر قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره ، فكذلك القليل من السيئات يد دام عظم تأثيره في إظلام النفس .

إلا أن الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بعد من غير سوايق ولواحق من جملة الصغائر فتنما يلقى للزنى بختة من غير مبلودة ومقدمات . وقيلما يقتل بختة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة . فكبر كبيرة تكتمها صغائر سابقة ولا حقة . ولو تصورت كبيرة وحدها بختة ، و - يلقى إليها هود ، رى كان المعو بها أرجى من صغيرة واظب الإنسان عليها عنه ..

(١١١) تنصهر - يجمع

(١١٢) حديث غير الأعمال لومها ويدل على : يعثر عليه من حيث عايشة بالذات أحب وقد تقدم





## الركن الثالث

في تمام التوبة وشروعها ودوامها  
إلى آخر العسر

- بيان شروط التوبة ودوامها .
- بيان كيفية تدارك ما مضى من المصّر .
- بيان طريق كل نائب في رد المظالم .
- بيان أقسام التائبين في دوام لتوبة .
- بيان ما ينبغي أن يبادر إليه النائب - حري عليه ذلك إما عن قصد وشهرة غالية ، أو عن إلحاح نكس الاتفاق .
- ثمرة التوبة .



## الفصل الأول

### بيان شروط التوبة ودوامها

تمهيد :

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزمًا وقصدًا . وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي حائلًا بينه وبين محبوبه . ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وثبات . ولتمامها علامة ، ولدوامها شروط . فلا بد من بيانها .

أما العلم فالنظر فيه نظر إلى سبب التوبة وسببها . وأما الندم : فهو توجع القلب عند شعوره بغوات المصروب وعلامته طول الحسرة ، والحزن ، وانسكاب الدمع ، وطول البكاء والمكر . فمن استشعر عقوبة مآلة بولده أو بهمن أعزته ، طال عليه مصيبته وبكائه . وأى عزيز أمر عليه من نفسه ، وأى عقوبة أشد من النار ، وأى شيء أدل على نزول العقوبة من المعاصي وأى خير أصدق من الله ورسوله ! ولو حدثته إنسان واحد يسمى صبيًا ، أن مرضى ولده المريض لا يبرأ ، وأنه سيصير منه : لعل في الحال حربه . فليس ولده بأعز من نفسه ، ولا الطيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ، ولا نبوت بأشد من النار ، ولا للمرض بأدل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى ، والتعرض بها للنار . فأنم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى . فعلامة صحة

الدم رقة القلب ، وحرارة الدمع . وفي الخبر <sup>(١٢٢)</sup> : « جالسوا التوابين فابتهم أرق أفدة » .

ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الدوب في قلبه بدلاً عن حللها ، فيستدل بالليل كرمية ، وبالرغبة نفرة . وفي الأساليب أن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه ، وقد سأله قبول توبة عبد ، بعد أن اجتهد سين في عبادة ولم ير من توبته مقل وعرق وجلال ، لو شمع فيه أهل السموات والأرض ما صلت توبته ، وحلاوة دمك الدوب الذي تاب منه في قلبه . فإن قلت فالتوب هي أعمال مشبهة بالطبع ، فكيف يجد مرارها .

فأقول : من تناول عسلًا كان فيه سم ، ولم يدركه بالدوق ، واستنذه ، ثم مرض وحاد مرضه والله ، وتناثر شعره ، وفلجت أعضاؤه <sup>(١٢٣)</sup> ، يود قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم ، وهو في عاية الجوع والشهوة للحلاوة ، فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ فإن قلت لا ، فهو جحد للمشاهدة والضرورة . بل ربما تنفر من العسل الذي ليس فيه سم أيضاً ، لشبهه به : فوجد أن التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلله بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل ، وعمله عمل السم . ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان . ولما عر مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى إلا معرضاً عن الله تعالى ، متهاوناً بالدوب ، مصرّ على عهد شره من الدم ويسمى أن يدوم إلى الموت . ويهين أن يجد هذه المرارة في جميع الدوب ، وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل ، كما يجد متناول السم في العسل الفة من الماء البارد ، مهما علم أن فيه مثل ذلك السم ، إذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته ورواه من حيث به سرقه وربما ، بل من حيث به مخالفه أمر الله تعالى ، وذلك جار في كل ذنب .

(١٢٢) حديث جالسوا التوابين فابتهم أرق أفدة . لم أجده مرفوعاً وهو من قول عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال جالسوا التوابين فإن رجعت الله لي الداء أقرب وقال أيضاً فلو علة إلى كل شيء أسرع وهم إلى رقة أقرب وقال أيضاً فلو أسرع جملة وأرق قلباً .

(١٢٣) أصابها الفالج وهو فاء يحدث في أحد شقي البدن فيعطى إحساسه وحركته (الشلل النصفي) مثلاً



## الفصل الثامن

### بيان كيفية تدارك ما فات

وأما القصد الذي ينبعث منه ، وهو إرادة ترك ، فله تعلق بالحال ، وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له ، وأدرك كل فرض هو متوجه عنه في الحال . وله تعلق بالمعاصي ، وهو تدارك ما فرط . والمستقبل ، وهو دوام الطاعة ، ودوام ترك المعصية إلى الموت . وشرط حسب فيما يتعلق بالمعاصي ، أن يرد فكره إلى آو يوم بلغ فيه بالمس أو الاحتلام . ويبحث عما مضى من عمره سنة سنة ، وشهراً شهراً ، ويوماً يوماً ، ومساءً مساءً . ويصر إلى الطاعات ما أدى قصر فيه منها ، وإلى المعاصي ما الذي فرقه من

### كيفية التوبة من ترك الصلاة أو فسادها

فإن كان قد ترك صلاة ، أو صلاها في ترب محس ، أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط البية . فيقتضيها عن آخرها . فإن شئت في عدد ما فات . منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه ، ويقضى الباقي . ولو أن يأخذ فيه بمطالب الظن ، ويحصل إليه عن سبيل التقصير والاجتهاد

### التوبة من ترك الصوم

وأما الصوم ، فإن كان قد تركه في سقر ولا يقضه ، أو أقطر عمداً ، أو نسي البه بالليل ولم يقض ، فيتعرف مجموع ذنبت بالتصريح والاجتهاد ، ويشغل يقضه



## التوبة من ترك الزكاة

وأما الزكاة ، فيحسب جميع ماله ، وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ ، فإن الزكاة واجبة في مال الصبي : فيؤدى ما عزم به غالب الظن أنه في دمه . إن أضافه لا عن وجه يوافق مذهبه ، بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية ، لم يخرج البطل ولا هو عن مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، ففقط جميع ذلك ، فإن ذلك لا يميزه أصلاً وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يصح . انتج به من تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء .

## التوبة من ترك الحج

وأما الحج ، فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يصرف له الخروج ، والآن قد أغلقت عليه الخروج . فإن لم يقدر مع الإفلاس ، فعليه أن يكسب من الحلال قدر الراد . فإن لم يكن له كسب ولا مال ، فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يبح به ، فإنه إن مات قبل الحج مات عاصياً قال عنه سلام : « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً » وإن شاة نصراًياً ، والمجز الصاريء بعد القسرة لا يسقط عنه حج فهد طريق تفتيشه عن الصاعقات وتداركها .

## التوبة من المعاصي

وأما للمعاصي ، فيجب أن يقتش من أول بلوغه عن سمعه ، وبصره ولسانه ، وبطنه ، ويده ، ورجله ، وفرجه ، وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أزمه وساعاته ، ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه ، حتى يطلع على جميعها صحتها وكبائرها ، ثم ينظر فيها .



(١٢٤) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً — الحديث — تقدم في الحج



## الفصل الثالث

## بيان طريق كل قائب إلى رد المظالم

### المعاصي التي بين العبد وبين الله

فما كان من ذلك بين وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد ، كنصر إلى غير محرم ، وقعود في مسجد مع خنابة ، ومن مصحف بغير وصوء ، واعتقاد بدعة ، وشرب خمر وسجّ بلاه ، وغير ذلك ما لا يتعلق بمظالم العباد ، فالتوبة عنها بالنسبة وتحتصر عن ، وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المسعة ، ويطلب بكل ممعة من حصة نفسه . فإن من الحسنة بمقدار تلك السيئات ، أحداً من مائة مائة مائة ، اتقى الله خيئت كنت وأنت السيئة الحسنة ثلثتها ، بل من قوله عن : « إن الحسنات يذهبن السيئات » . فيكثر سماعه من سماع . . . ويكثر من ويكثر القعود في المسجد حسناً بالأعتراف فيه مع الاستعانة بهيئته . ويكثر من المصحف محدثاً بإكرام المصحف وكثرة قراءة الله أن منه ، وكثرة تقيمه ، وإن يكتب مصحفاً ويجمله وفقاً . ويكثر شرب الخمر بالتصدق بشارب حلال ، وهو أطيب منه وأحب إليه . وعند جميع المعاصي غير ممكن وإلى المقصود سلوك الطريق المضادة . فإن المرض يدرج بصدده . فإن ضمة ارتفعت إلى القلب تعصبة . ولا يحورها . لا نور يرتفع إليها بحسب تصدده . ولتصدت هي المتناسبات . فلذلك ينبغي أن تعنى كل سيئة بخسنة من جسدتها لكن تضادها

(١٢٥) حديث أتى الله حيناً كذا وتبع السيئة الحسنة تمحها . يرمى من حيث أتى من وصححه . وعنده أنه في أدب الكتاب . بعضه في توتر التوبة ومعه في بحسب علم . (١٢٦) مرد : ١٤١ .

هو ان يصاب بمرأى بالسواد لا بخسارة وجودة. وهذا التدرج والتحقيق من  
النصف في طريق الحق والرجاء فيه اصدق، والثقة به أكثر من أن يواطى على نوع  
وحد من العبد، وإن كان ذلك أيضاً مؤثراً في عوهمها حكم ما يسهل وبين  
الله تعالى ويدل على أن الشيء يكفر بعبده أن حب الله رأس كل حقيقة،  
وأن اتباع الله في القلب تسوؤها. والحق فيها فلا جرم كان كل أدى  
بعبس الله يسوؤها فيه عن الله يكون كفرة له إذا لقلب يتحلى  
بصوم وبعبس عن دار الموم قد <sup>من الذنوب</sup> لا  
يكفرها إلا أنهموم، وفي بعض آخر: <sup>إلا أنهم يطلب المعيشة</sup>، وفي حديث  
عائشة رضي الله عنها: <sup>إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال</sup>  
لكنها أدخل الله تعالى عليه أنهموم فكأن كثرة ذنوبه، وبعد إن أهم  
أدى بدخل عن القلب والعبد لا يعرفه هو حصة الذنوب وهذا شعور  
القلب بوقته حساب وهو المصعب من قبل هذا الإنسان على بملء وولده  
وحده، وهو حقيقة، فكيف يكون كفرة؟

بعد أن حب له خطيئة، واحرم من عبادة كثيرة، وهو تمت الخطيئة  
بعد رأى أن حريه عليه السلام، دخل على يوسف عليه السلام في السجن،  
فقال: كيف تركت شيخك ككيب؟ فقال قد حزن عليك حزن مائة لكل،  
من بعد عبد الله؟ قال آخر مائة شهيد من الموم أيضاً مكفرات حقوق  
الله بعد حكمه به وبين الله تعالى



(١٢٧) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الموم وفي قفص آخر إلا الموم في طلب المعيشة، قال  
وأبو يعقوب في تحليته والخطيب في التخصيص من حديث أبي هريرة بسند طيب وتقدم الكتاب (١٢٨)  
(١٢٨) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال تكفرها أدخل الله عليه الموم: تقدم أيضاً في  
الكتاب وهو عند أحمد من حديث عائشة باللفظ سلام الله في آخر

## مظالم العباد

وأما مظالم العباد فبها أيضاً معصية وحماية من حو الله تعالى به الله تعالى  
أي عن ظلم العبد أيضاً قد يتحقق منه - الله تعالى تتركه بانه  
والنحر، وتركه مثله في المسيرة، والإيمان، حيث سى هي ضده  
مقابل إيداء الناس بالإحسان، ويكفر صاحب أموره بصدق محكم  
الحلال ويكفر تاول أعراضه بعبادة وتفسح به الله، عن أهل الدين،  
وأصهار ما يعرف من حساب آخر من أمره، والله ويكفر من الموم  
باعتق برفق لأن ذلك يحيا، إذ العبد بعد نفسه، موحود سيده  
والإعناق إهد لا يقدر الإنسان على أكثر منه، من الإعداء بالإهد، ومنها  
يعرف أن ما ذكرناه من سوء صير الموم في كبره وهو مشهود به في  
الشرع، حيث كثر أهل بعبس رقة، ثم بعد ذلك كنهه بعبه  
يكفه، ما يخرج عن مظالم العبد، ومعه عده، في عوس، أو قأموا،  
أو الأعرص، أو الصوب شيء به لإيداء المخص من عوس، من حرى عبه  
قتل خطأ، حوته بتسليم الدية ووصوفه إلى المسحق، بما منه أو من عاقته،  
وهو في عهده ذلك قبل توصيه، وإن كان عملاً موجباً للقصاص  
فالقصاص: فإن لم يعرف فيجب عليه أن يعرف عدو الله، ويحكمه في  
روحه، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء قتله ولا تسف عهده إلا به، ولا يجوز  
له إحياء وليس هذا كما نرى، أو شرب، أو سرق، أو قفص صريع، أو  
بشر ما حب عليه به حد الله تعالى، فإنه لا يبره في توبة أن يعصم نفسه،  
ويبت مشرقة ويتنعم من الوالي منيع، حق من تعالى بين عبه أن يتستر  
بسر الله تعالى، ويقم حد الله على نفسه بأنواع عسدة والسعيد والمعو في  
محض حقوق الله تعالى قريب من سائر شامير، فإن رفع أمر هذه إلى الوالي  
حتى قوم عليه الحد، وقع موقعه، وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله

تعالى ، بنليل ماروى (١٦٦) أن ماعز بن مالك ، أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إلى قد ظلمت نفسي وزنت ، وإلى أريد أن تطهرني . فرده . فيها كان من العمد أنه قال : يا رسول الله إلى قد زنت . فرده الآية . من كان في الثالثة ، أمر به فحفر له حفرة ، ثم أمر به فرجم . فكان الناس فيه مريعين فقليل يقول قد هلك وأحاص به حصيته وقيل يقول ما توبة أصيد من ماله . من رسول الله ﷺ ، لقد تاب توبة لو قُسمت بين أمة لموسعتهم . وجاءت العامية فقلت يا رسول الله ، إلى قد ربيت طهرني . فردها . فلما كان من العمد قالت يا رسول الله ، م بردي ؟ عليك يريد أن ترددي كما رددت ماعزا . فوافقه إلى الحبل . فقال ﷺ : أما الآن فأذهبني حتى تغضي . فلما ولدت أتت بالعسي في خرقة . فقالت هذا قد ولدت . قال : اذهبي لأزعيجه حتى تقطعيه . فلما قطعت أتت بالعسي وفي يده كسره . عز ، فقالت يا سي الله ، قد قطعت : وقد أكل الطعام فدفع العسي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجوها . فأقبل خالد بن الوليد بحجر ، رمى رأسها ، فصاح به عن وجهه . فسمع . فسمع رسول الله ﷺ به إياها فقال : مهلاً يا عائشة فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكسر كفر له . ثم أمر بها ففصل عليها ودفت .

وأما القصاص وحد القذف : فلا بد من تحليل صاحبه المستحق فيه . وإن كان المتناول ما لا تناوب به فصب ، أو خيبة ، أو عين في معصية تدع تبرر ، كترويح زائف ، أو ستر عيب من المبيع ، أو نقص أجرة أجر ، أو مع أخرى . فكل ذلك يجب أن يغتفر عنه لا من حد بلوغه ، بل من أول مدة وجوده . فإن ما يجب في من العسي يجب على العسي إخرجه بعد السوء ، إن كان سورا .

(١٦٦) حديث أخرجه ماعز بن مالك ورواه ﷺ حتى يعرف أربعا وقوله لقد تاب توبة . الحديث : مسلم من حديث بريدة بن الحصيب .  
وأيضا حديث الطائفة وأخرها بالثواب ورواه ﷺ وقد تاب توبة . الحديث : مسلم من حديث بريدة بن الحصيب .

قصر فيه ، فإن لم يفعل كان ظلماً مطالبا به . . . . . في حدود ماله العسي والبالغ . ولبحاسب نفسه على الحيات والدمائر من أول يوم حياته إلى يوم توبته . قبل أن يحاسب في القيامة . وليأقش قبل أن ياقش من لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في آخرة حسابه . فإن حصل محمد . ما عليه بقى غالب ونوع من الاجتهاد ممكن ، فليكتب ، وليكتب أسامي أصحاب المظالم واحدا واحدا ، وليطع في نواحي العالم وليطالبهم ، وليستحلهم . أو ليؤد حقوقهم . وهذه التوبة تشق على الظلمة وعمل التجار ، فإبهم لا يسرون على طلب المعاصي كنهم ، ولا على طلب ورثتهم . ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يعتبر عليه . فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من حسرات ، حتى تفيض عنه يوم القيامة ، فتؤخذ حسنته وتوضع في موازين أرباب المظالم وتكن ككرة حسنته بقدر ككرة مظالمه ، فإنه إن لم تف بها . - ته حمل من سيئات أرباب المظالم ، هيلك بسيئات غيره .

فهذا طريق كل تائب في رد المظالم . وهذا يوجب استمراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف ذلك مما لا يعرف ، وربما يكون الأجل قريبا فيبني أن يكون تشبهه بحسنات والوقت ضيق ، أشد من تشبهه الذي كان في المعاصي في متعب الأوقات . هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته . أما أمواله الخاضعة . فليرد إلى مالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه أن يتصدق به . فإن احتبط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ، ويتصدق بذلت إصدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرم . وأما الحدية عن القيوب فتأب الناس بما يسوءهم أو يهيب في النية . فيطلب كل من تعرض له بلسانه ، أو ذى قلبه بفعل من أعماله ، وليستحل واحدا واحدا منهم . ومن مات أو عت فقد مات أمره ، ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات ، فتؤخذ منه حوضا في حياة . وأما من زوجته وأحله يعيب نسب منه . عدت كفارته . وعليه أن يجره قدر جهاته وتعرضه له . فالاستحلال المبهم لا يكفي . وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم يطلب نفسه بالإحلال ، وأدخر ذلك في القيامة فذخيرة يأخذها من حسنته ، أو يحمله



ومن مهمتها التنبؤ إذا لم يكن عادياً، أن يتعمق ما يجب عمله في المستقبل.  
وما يحرم عليه، حتى يمكن الاستغناء. وإن لم يؤثر العبرة لم تتم له الاستفادة  
المطلقة، إلا أن يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والرفا  
والغضب مثلاً، وليست هذه توبة مطلقة. وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة  
لا تصح. وقال قائلون: تصح. وأعطى الصحة في هذا المقام مجمل. بل نقول  
من قال لا تصح إن حيت به أن تركه بعض الذنوب لا يعود أصلاً، بل وجوده  
كعدمه، قد أعظم خطئاً. فإن بعض أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب،  
وقتها لسبب لقلته. ونقول لمن قال تصح، إن أردت به أن التوبة عن بعض  
الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو الفور، فهذا أيضاً خطأ. بل النجاة  
والفور يترك الجميع هذا حكم الظاهر. — شكلم في مخايا أسرار حقو الله.

فإن قال من ذهب إلى أنها لا تصح. إلى أردت به أن التوبة عبارة عن  
الندم، وإنما يندم على السرقة مثلاً لكونها معصية، لا كبر سرقة. ويسجل  
أن يندم عليها دون الرضا إن كان توجهه لأجل المعصية، من لئمة شامة فما،  
إذ من يتوجه على قتل ولده بأسيف يتوجه على قتله بالسكّر، لأن توجهه  
بقوات محبوه سواء كان بأسيف أو بالسكين، فكذلك توجه العبد بموت  
محبوه، وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا، فكيف يتوجه على  
البعض دون البعض، فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية معصية للمحسوب  
من العيب إنها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض،  
ولو جاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدين دون الآخر، فإذا استحال  
ذلك من حيث إن المعصية في الحسرين واحد، وإنما الدنان ظروف فكذلك  
أعيان المعاصي آلات للمعصية، والمعصية من حيث مخالفة الأمر واجبة، فإذا  
مضى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة، وثالث الرتبة لا قال لا  
بالندم. ولا يتصور الندم على بعض المآثلات فهو كالبللث المرتب على الإيجاب  
والقبول فإنه إذ لم يتم الإيجاب والقبول نقول إن العقد لا يصح، لم يترك عنه  
الشره وهو أنى سبب يرفع هذا ثمره عند الشره لا ينفع عنه عقاب

ما تركه، وثمره الندم تكفير مسبق ميث الرشد يكفر السرقة، بل ندم  
عليها. ولا يتصور ندم إلا كبر معصية واحدة. بل جميع المعاصي

وهو كلال مفهوم وقع، يستحق الاستغفار. بل يمكن أن يكون بعض  
منقول التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو إما تكون عن الكبائر دون  
الصغائر، أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبر. بل توبة كبيرة. أما التوبة عن  
الكبائر دون الصغائر، فامر ممكن. لأنه يعلم. الكبائر أعظم عند الله،  
وأحب سبحانه الله ومقتنه. والصغائر أقرب إلى نفي في العقوبة فلا يسجل  
أن يتوب عن الأعظم ويندم عليه. كالذي قال: على أمن سبب وحرمة.  
ويحى على دابته فيكون خائفاً من أحذية على لا. مستحق سجنه عن  
الداية والندم بحسب استعظام الذنب واعتداد كبر. معاً عن شدة ندم وهذا  
ممكن وجوده في الشرع. فقد كثر التأنيون في الأمر حذيه. بل يمكن أحد  
فيه معصوماً فلا تستدعي التوبة معصية واحدة قد صدر مريض بعمل  
تخسيراً شديداً، وحذره لسكر حديراً أحف منه، بل وجه يشعر معه أنه ربما  
لا يظهر صرر السكر أصلاً، فيتوب المريض بقوله عن بعض دون السكر.  
فهد غير محل وجوده وإن أكلهم جميعاً بحكم شبهة، ندم على أكل بعض  
دون السكر انتهى أن يتوب عن بعض نكثراً. بعض وهذا أيضاً ممكن  
لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأعظم عند الله. كذا في يتوب عن القتل.  
والنهب، والظلم ومظالم العباد، لعلمه أن ديوان حذر لا يترك، وما يسهل وبين  
الله يتسارع العفو إليه. فهذا أيضاً ممكن، كما في ندمت الكبائر والصغائر لأن  
الكبائر أيضاً متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبيها. ولذلك قد يتوب عن  
بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد، كما يتوب عن شرب الخمر دون الرضا مثلاً،  
إذ يتصح له أن الخمر مفتاح الشرور، وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي  
وهو لا يدري. فيحسب ترجع شرب الخمر عنده بنعت منه خوف، يوجب  
ذلك تركاً في المستقبل وندماً على الماضي. الثالث: أن يتوب عن صغيرة أو  
صغائر، وهو مصر على كبيرة معصية بها كبيرة كاستهوانه عن المعصية، أو عن

النظر إلى غير المحرم ، أو ما يجري مجراه ، وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضاً  
ممكن ووجه إمكانه أنه ما من مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه ، وبإدام عن  
فعله ندماً إما صميفاً وإما قوياً ، ولكن تكون لذة ندمه في تلك المعصية أقوى  
من ألم قلبه في الخوف منها ، لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل  
والغفلة ، وأسباب توجب قوة الشهوة ، فيكون الندم موجوداً ، ولكن لا يكون  
ملياً بتحريك العزم ، ولا قوياً عليه . فإن سلم عن شهوة أقوى منه ، إن لم  
يعارضه إلا ما هو أضعف ، قهر الخوف الشهوة وغلبها ، وأوجب ذلك ترك  
المعصية ، وقد تشتد صراوة الناس بالخمر ، فلا يقدر على الصبر عنه ، وتكون  
له ضرر ما بالعينة ، وتلب الناس ، والنظر إلى غير المحرم ، وخوفه من الله قد  
بلغ مبلغاً ينفع هذه الشهوة الضعيفة دون القوة ، فيوجب عليه جند الخوف  
إباحت العزم للترك ، بل يقول هذا العاقب في نفسه . إن قهرني الشيطان  
بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي ، فلا ينبغي أن أخلع العذر وأرغمي  
العتان بالكفارة ، بل أجاهده وبعض المعاصي ، فمالي أعية ، فيكون قهرى له  
في البعض كفارة لبعض ذنوبى . ولو لم يتصور هذا لما تصور من العاقب أن  
بعض وبصوم . وسئل له إن كانت صلاتك لعير الله فلا تصنع ، وإن كانت قد  
فترك العسق لله . فب أمر الله فيه واحد ، فلا يتصور أن تقصد بصلاتك  
التقرب إلى الله تعالى ، ما لم تتقرب بترك العسق وهذا حال بأن يقول . لله تعالى  
عل أمرى ، ولعل الخالصة فيها عقوبتان . وأنا مل في أحدهما يظهر الشيطان  
عاجز عنه في الآخر ، فأنا أقهره فيما أقدر عليه ، وأرجو بمجاهدتي فيه أن يكبر  
عنى بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتى . فكيف لا يتصور هذا ، وهو حال  
كل مسلم ؟ إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ، ولا سبب له  
إلا هذا . وإد فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب يمكن  
وجودها . والخوف إذ كان من فعل من ورث الله ، والدم يورث العزم  
وقد قال النبي ﷺ **والتدبيرة** ، وم يشرب الدم على كل دم . وقال  
والتائب من الذنب كمن لا ذنب له . وم يقب التائب من الذنوب كلها

وهذه المعاني ثلث صفوط فوق التثليل . إن . من بعض الذنوب غير  
ممكنة ، لأنها متائلة في حق الشهوة ، وفي حق الله من إن سخط الله به .  
نعم يجوز أن يتوب عن شرب خمر دون سببه . وبها في إقصاء النقص .  
ويتوب عن الكثير دون القليل . لأن كثرة الذنوب . تأثير في كثرة معصية .  
فيساعد الشهوة بالعزم الذى يمحى عنه . وب بعض شهوته لله تعالى  
كالمرضى الذى حذره الطبيب الفاكهة ، فإنه قد يتناول قليلها ، ولكن  
لا يستكثر منها ، فقد حصل من هذا أنه لا يمكن . يتوب عن شيء ولا يتوب  
عن مثله بل لابد أن يكون ما تاب عنه عند ما يقب عليه . إما في شدة  
المعصية وأما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التمسك في اعتد التائب ، تصور  
اختلاف حاله في الخوف والدم . فيتصور اختلاف حاله في الترك . فندم على  
ذلك الذنب ، ووجهه بعزمه على الترك يحقه . وبذلك ، وإن لم يكن قد  
أطاع الله في جميع الأمور . وهو . من . تصح توبة العزم من الرما  
الذى قاربه قبل طوبى . حنة ؟ فقول لا . لأن الله - عبارة عن دم يمت العزم  
على الترك فيما يقدر على فعله . وما لا يقدر على منه قد انعدم بنفسه لا يتركه  
إياه . ولكن أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحق به ضرر الرما  
الذى قاربه ، وفارعه احتراق ، ومحبر ونده تحت . كانت شهوة الوقع به  
باقية لكانت حرقه الدم تمنع من الشهوة وتعد . من . رحوت يكون تحت  
مكفراً لذنبه ، وماحيا عنه سببه إذ لا خلاف في أنه لو تاب قبل طرمان العنة ،  
ومات عقب التوبة ، كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تبيح فيها الشهوة .  
وتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه تائب باعتب أن ندمه بلغ مبلغاً أوجب  
صرف قصده عن الرما لو ظهر قصده . فإذا لا يستعمل أن تبلغ قوة الدم في  
حق العزم هذا المبلغ ، إلا أنه لا يحرقة من نفسه . فإن كل من لا يشئ شيئاً  
يقدر نفسه قادراً على تركه بأذى بخوف . وبه حال مضى على ضميره وعلى  
مقدار ندمه ، فعساه يقبله من قبل الظاهر أنه يقب . وحقيقة في هذا كله ترجع  
إلى أن ضمة معصية سحى عن النفس شيئاً يحرقه حرقه . . . . . وآخر

شدة الشهوة بترك في المستقبل وقد امتنع المجاهدة برول الشهوة ولكن ليس  
بملاً أن يجرى عدم بحث يقوى على محو دون المجاهدة ولو لا هذا فقد  
شهوة لا تقل ما لم يمشي لائق بعد التوبة منه ، يجاهد نفسه في عين تلك  
الشهوة مرات كثيرة . وذلك كما لا يدل ظاهر الشرح على سراحه أصلاً . ومن  
فب' يد فرصة ثانية ، أحدهم سكنت نفسه عن المروع في الحب ، وذاكر  
في نفسه مروع لأنه وعثر به ، وعلمه . فأيها الفصل ؟

فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه . فقد أخذ من أبي حنيفة وأصحابه  
أن ملحق بالزاني : إن المجاهد أفضل ، لأن مع التوبة فصل الجهاد . وقد  
علماء البصرة : ذلك الآخر أفضل ، لأنه لو قدر في توبته كان أقرب إلى السلامة  
من المجاهد الذي هو في عرصه امتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من  
الفرق لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال حقيقته وإحقاقه أن الذي  
اتقوا مروع نفسه في حال

أحدهم أن يكون المقصود مروع به تصور في نفس شهوة مقصود ،  
ومعاهدة فصل من هذا . إذ تركه . فمعه قد دل على قوة نفسه ، وسبلاء  
ديه عن شهوته ، فهو يدل قسماً على قوة النفس ، وعلى قوة الدين . وأغنى  
قوة حتى قوة لإردده حتى تسعت بإشارة اليقين ، وجميع الشهوة بعبته  
بإشارة الشيطان . فها تارة هو من دون عهده عبيد مقصود . ولولا انقراض .  
هذا أسهم ، إذ هو لا يعود إلى نفسه ، عهد صحيح ولكن يستعمل بعض  
لأفضل منه حصاً وهو كثرة الغنى ، من أفضل من الضل ، لأنه في أم من  
خطر الشهوة ونصي أفضل من السج ، لأنه أسهل . وأفضل أفضل من است  
القاهر فقامع لأعدائه ، لأن نفس لا عيب به ، واست ريد يفت مره وإ  
غلب مرات . وهذا كلام رجل سليم القلب ، قاصر النظر على العواهر ، غير  
عالم بأن العر في الأخطار ، وأن العلو شرطه اقتحام الأعر . من هو كقول  
الفاصل : الصياد الذي ليس له قوس ولا كلب ، أفضل في ساعة الاصطياد  
وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس . لأنه آمن من أن يفتح به فريسه ،

فكسر عهده عند سقوطه عن الأرم . وآمن من أن يعصه الكلب  
ويجربى عليه . وهذا حيل بل صاحب الكلب . والكلب إذا كان قوياً غلب  
بصريق تدبيره على ربه أخرى بترك سدد هيب

حينئذ لا بد أن يكون بطلان الروح برب قوة اليقين ، وصدق المجاهدة  
سعد . إذ بيع سعد فبيع عبيد شهوة . . . . . أدبت بأدب تسرع ، فلا تفتح  
لا بالإشارة من الدين . وقد سكنت بمر . سلاء الدين عيب عهد على  
رمة من عهد مقدس فبحال شهوة وقصر . وقول نقائل ليس ليدت فقص  
حياد قصور عن لإحدهم مقصود جهده . جهده ليس مقصود عيه من  
مقصود قسص ضرورة العدو ، حتى لا يست . إلى شهوته ، ومن عثر عن  
ستجربك فلا يصح من سلوكه من . فإذا قهرته وحصلت المقصود ،  
فقد ظهرت وما دمت في عهدة ، فلت به . طلب الظفر . ومثاله كمثل  
من قهر العدو واسترقه ، بالإضافة إلى من هو . يعون بجهدي في صف انصب ،  
ولا يدري كيف يصيب . ومثله يقدر . عدم كلب الصيد . ومن  
لغرس ، عهد بائم . عده بعد ترك كلب الصرورة وعرض جناح ،  
بالإضافة إلى من هو مشغول بمسألة التدبير . وقد ربي في هد فريق ،  
قصوا أن الجهاد هو مقصود لأقصى ، وه بهمة أن دت ضب لمخلص من  
عواقب الطريق ، وظل آخرون أن قمع الشهوة . وماضتها بكيفية مقصود حتى  
جرب بعضهم بنفسه ففجر عنه ، فقال هذ حال فكذب بالشرح ، وسكت  
سبيل الإباحة ، واسترسل في اتباع الشهوات . وكل دت حيل وصلان وقد  
قررنا ذلك في كتاب رياضة النفوس من ويلج لهيكات . فإن قلت : لما قولك  
في تأبين ، أحدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتذكر فيه ، والآخر جعله نصب  
عنه ولا يزال يتذكر فيه ويحترق فندماً عليه . فأيها الفصل ؟

### أيها الفصل ؟

فاعلم أن هذا أيضاً قد اختلفوا فيه . فقال بعضهم : حقيقة التوبة أن تصب





ترك التضاحة وبرل إلى كنهه<sup>(١٣١)</sup> إلى الذي يعد منه أو صغر . يصوت ه  
وعاء<sup>(١٣٢)</sup> أو صغيراً تشبهاً بالهيبة والضاغر ، تصدق في بعضه . هـ . أن بعض  
عن أمثال هذه الدول ، فإنها مرلة أقدام العربيين فضلاً عن العذلين ، سأل الله  
حسن التوفيق بطلعه وكرمه .



## المجل الرابع أقسام العباد في دهر التوبة

اعلم أن الدين في التوبة على أربع طبقات

توبة ذي النقص المظننة

الطبقة الأولى أن يتوب مدعي . هـ . عن سببه إلى آخر عمره  
فيذكر مدعي<sup>(١٣٣)</sup> من أمره . هـ . لا حـ . هـ . هو من دهره . لا التوب  
التي لا يثبت بشرع في تعدد مهج . هـ . إلى في رتبة التوبة . فهذا هو  
الاستقامة على التوبة . وصاحبه هو السليم . حيراب مستند . راجع  
حجرات . ونسب هذه التوبة لتوبة النصوح . ونسب هذه النفس الساكنة نفس  
مستقيمة ، التي ترجع إلى ربها رغبة مرضية . هـ . لا . هـ . هـ . إشارة  
بقوله عليه<sup>(١٣٤)</sup> : سقى الممقرذون المصهر . يذكر الله تعالى وضع الذكر  
عليهم أوزارهم فوزدوا القيامة خفاً . هـ . إشارة إلى أسم كانوا تح  
أزوار وصعها الذكر عنهم .

وأهل هذه الطبقة على وقت من حيث السور إلى الشهوات ، فمن تأب  
سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ، فمتر برعها ، ولم يشغله عن السبوك  
صرعها . هـ . من لا يثبت من صراحة النفس . هـ . من عده هـ . هـ .

(١٣٦) مرط سيق والفارط إلى س

(١٣٧) حليل سيق للمفرد . هـ . يذكر الله . هـ . هـ . من حليل في هـ . هـ .

وقد تقدم

(١٣٤) النكه . الحق . فعل . هـ . هـ . هـ . هـ . هـ .

(١٣٥) الرعدة : صوت البحر ، والنام والصبح وكصف الرعد ، وبكاء الصبي التلبد ، والمقصود

العب .

ثم شهدت درجته شرح نصاً بكثرة وعنه واختلاف منه ،  
 واختلاف الألوخ وكذا من جنته من حيث قولهم من عصف يموت  
 قريباً من يومه ، بعد عن ذلك سلامه وموته قبل الفرة ، ومن ثم من صا  
 حبه وعمره ، ومما سبقه من كبره حبيبه ، وحسن هداه وأفضل ،  
 يد كل سيرة يرى تحوي حسنة ، حتى قد بعض العلماء ، إنه يكفر الذنب  
 الذي ارتكبه العاصي أن يسكنه عسر مرات ، مع صدق الشهوة ، ثم يصبر  
 عنه ، ويكسر شهوته خوفاً من الله تعالى . واشتراط هذا بعيد ، وإن كان  
 لا ينكر عظم أثره لو فرض . ولكن لا يسعى للمريد الضعيف أن يسلك هذا  
 عبرة ، فتبجح السيرة ، وتحضر الأسباب حتى يتمكن ، ثم يطمع في  
 الاكتفاء ، فإنه لا يؤمن خروج عن الشهوة عن احتيرته ، فيقدم على  
 المعصية ، ويقص توبته . بل طريقها الفرار . من ابتداء أسبابه الميسرة له ، حتى  
 يسد طرقها على نفسه ، ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه . به  
 تسلم توبته في الإبتداء

### توبة ذي النفس اللوامة

الطبعة الثانية تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الصاعات ، وترك  
 كابر الفواحش كلها ، إلا أنه ليس يفتك عن ذنوب تعتره ، لا عن عمد  
 وتجريد قصد ، ولكن يتلى بها في مجاري أحواله . من غير أن يقدم عزماً على  
 الإقدام عليها . ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف ، وجدد عزمه  
 على أن يتشمر للاحتراز من أسبابها لئلا تعرجه لها . وهذه النفس جديرة بأن  
 تكون هي النفس اللوامة ، إذ توم صاحب على ما تسببها من لأحوال  
 الذميمة ، لا عن أنصميم عزم وتحمي رأي وقصد . وهذه أيضاً رتبة عالية ، وإن  
 كانت نازلة عن الطبقة الأولى . وهي أغلب أحوال الثانيين . لأن الشر معجون  
 بطينة آدمي قلما يمتنع عنه ، وإنما غاية سعيه أن يعصب نفسه شره ، حتى يتصل  
 ميرانه ، فترجح كفة الحسرات فأما أب تخلق بالكلية كفة السيئات ، فذلك في

عنه بعد . وهؤلاء هم من الوعد من الله تعالى ، يد من معالي الدين  
 يخسرون كابر الأثم والفواحش **إِلَّا اللَّحْمَ إِنَّكَ وَاسِعُ الْمُعْصِرَةِ** (١٣٨)

فكل من يقع بصعرة ، لا عن توطئ مقصده ، فهو حدير بذ يكون من  
 الله معفو عنه . قال تعالى **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**  
**ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ** (١٣٩) . فذكر الله مع غلبتهم لأفئدهم .  
 سألهم يومئذ أنفسهم عليه . من مثل هذا . لإشارة بقول **عَلَيْكُمْ** ، فيما  
 روي عنه عن كرم الله وحيه (١٤٠) . **حِينَئِذٍ كَلَّ مُصْطَفَى ثَوْبِهِ** . وفي خبر  
 آخر **الْمُؤْمِنُ كَالنَّيْتَةِ يَمِينُ أَخِيَانًا وَمِنْ أَخِيَانًا** . وفي الخبر (١٤١) **وَلَا**  
**يُؤَدُّ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ ذَنْبٍ بَأْتِيَهُ النَّيْتَةُ بَعْدَ النَّيْتَةِ** . أي العين بعد العين

فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا يقص التوبة ، ولا يلحق صاحبها  
 بدرجة المصيرين . ومن يؤيس مثل هذا عن درجة الثانيين ، كالطبيب الذي يؤيس  
 الصحيح من دوام الصحة ، ثم يصابه من داء كره والأصمعة لخبرة مرة بعد  
 أخرى . من غير مداومة واستمرار . وكالمصم الذي يؤيس المتفقه عن نيل  
 درجة التفتاء . بمتورده عن التكرار والتعليل في أوقات فائدة غير متطاولة  
 ولا كثرة وذلك يس عن مقصد الطبيب ونصحه بل الفقيه في الدين هو الذي  
 لا يؤيس الحق عن درجات السعدت ، . يتفق هم من مرات ومقارفة  
 استتت الخطيئات . قال النبي **مَنْ تَابَ** (١٤٢) **كُلَّ يَوْمٍ آتَمَّ خَطَاوُونَ وَخَيْرُ**

(١٣٨) التوبة . ٣٢  
 (١٣٩) (١٣٨)  
 (١٤٠) حديث على حياكة كل مقصود . أي لا يفتك في السبب بعد صديق  
 (١٤١) حديث من كرم الله وحيه . أي من واصل حيازة من حبيب  
 (١٤٢) من حديث عن النبي . أي لا يفتك في السبب بعد صديق . أي لا يفتك في السبب بعد صديق  
 (١٤٣) حديث من كرم الله وحيه . أي لا يفتك في السبب بعد صديق . أي لا يفتك في السبب بعد صديق  
 (١٤٤) حديث من كرم الله وحيه . أي لا يفتك في السبب بعد صديق . أي لا يفتك في السبب بعد صديق  
 (١٤٥) حديث من كرم الله وحيه . أي لا يفتك في السبب بعد صديق . أي لا يفتك في السبب بعد صديق

الْعُطَّائِينَ التَّوَابُونَ السُّعْثَرُونَ ، وَمَنْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِغَضَبٍ فَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ زُلْفَتُهُمْ أَتَى وَهَ الدُّيُوبُ ، رَاقِعٌ بِالتَّوْبَةِ وَلَدِيمٌ وَقَدْ نَعْلُ ﴿أَوَلَيْكَ يُؤْتَوْنَ أَفْرَافُهُمْ قُرْآنِي بِمَا هُمْ يُدْرَوْنَ وَيَذَرُونَ بِالْعَصَةِ السَّيِّئَةِ﴾ (١١٧) فَمَا وَصَّيَهُمْ بِعَدَمِ السَّيِّئَةِ أَصْلًا .

### توبة دى النفس المسولة

الطبعة الثالثة . أب يرب . يسلم على الاستقامة ، ثم يترجمه لشهده في بعض الدروب فيقدم عليه عن صديق وفصل شهوة ، لعجزه عن قهر شهوة إلا أنه مع ذلك موصف على مصادقات ، وإن كان حجة من الدروب مع صبرة والشهوة . ومن فهرته هذه الشهوة لوحيد و السهو . وهو يود لو أقدره الله تعالى على قمعها ، وكذا شره هذا شيء في حال قصه شهوة . وعند انزعاج يسهو ويغفل . سعى في قهره ، يستوجب عنه . وقد عني في قهره لكنه تسول نفسه ، ويسوف بوجهه مرة بعد أخرى . ويوم بعد يوم . وهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة . وصاحبها من الناس من أنه بعد فيهم ﴿وَأَخْرُوجُونَ أَغْرَفُوا بِدُورِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ (١١٨) وأمره من حيث مواظبته على الصلوات وكرهه لما تعاداه مرجو : فعسى الله أن يتوب عليه . وعاقبته محطرة من حيث تسويفه وتأخيره ، فرد جصف قبل التوبة ، وينزع أمره في السبب . فرب يدركه الله بقصه وجر كسره ، وامتن عنه بياسره . الشحو بالأساقين . ومن عنه شحونه ، وفهرته شهوته ، فيحشى أن حبي عنه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الأول ، لأنه مهما تعذر على المنفعة مثلاً الاحترار عن شواغل التعلم ، دل تعذره على أنه سبق له في الأول أن يكون من المحسنين ، فيضعف الرجاء في حقه . وإذا سمرت له أسباب المواصلة على

(١١٤) حديث أبيه وهو رافع فخره من مات عن قلة . من يهمل في سبب من حبيب جابر بن عبد الله بن جابر . وأما فسيده من فخره .  
 رافع أو من ذبه كصبيه ويرفعه من فعل التوب .  
 (١١٥) النفس ٥٤  
 (١١٦) توبة ٢

لتحصين . دل على أنه سبق له في الأول أن يكن . من حمله حسن . فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودرجاتها بالتحسات والسيئات ؛ يحكم تقدير مسبب الأسباب ، كارتباط المرض والصحة بتناول الأضحية والأدوية وارتباط حصول فقه الناس ، الذي به تستحق المناصب العالية في أمصارها ، بترك الكسل ، والمواظبة على تنقية النفس . فكذلك لا يصلح لصب الرهبان ، والقضاء ، والاعتماد بالعلم . ولا نفس صرحت بعبية بطول تنقيته ، فلا يصح لذلك الآخرة وبعيها ، ولا للقرب من رب العالمين ، إلا قلبه صيب . صار صدمراً حول تركية والتصهير . هكذا سبق في الأول جدير رب لأرباب . وذلك قد نعى ﴿وَلَيْسَ وَمَا سَوَّاهَا قَالَتْ لَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١١٧) فهما وقع بعد في دس . فصار الذنب نقداً والتوبة سبباً ، كان منه من علامات الحلال . قل عَزَّوَجَلَّ (١١٨) وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَفْعَلُ بِعَمَلٍ أَهْلُ الْجَنَّةِ سَبْعِينَ مِائَةً حَتَّى يَقُولَ اللَّهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا وَلَا يَتَّقِي بَينَهُ وَبَينَ الْجَنَّةِ إِلَّا شَيْئَرٌ فَيَسْبِقُ عَنْهُ الْكَذِبُ فَيَعْمَلُ بِمِثْلِ أَهْلِ الدَّرَجَةِ يُدْخِلُهَا

فإذا الخوف من الخاتمة قبل الحرية . وكل نفس فهو خاتمة ، فيه إذ يمكن أن يكون الموت متصلاً به ، فلا يقاب الألفاس . لا وقع في المنورة ، ودمت الحسرات حين لا يسمع التحسر .

### توبة النفس الأمارة

الطبعة الثانية : أن يرب ويجري مدة على الاستقامة ، ثم يعود إلى مفارقة الدسب أو بدروب من غير أن يحدث نفسه بعبية ، ومن غير أن يتأسف على فعله . بل يتحكم إتهامك الغافل في اتباع شهوته . فهنا من جملة المصريين . وهذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء المعروفة من الخير . ويختلف على هذا سوء

(١١٧) النفس ٥٧-٥٨-٥٩-٦٠ .  
 (١١٨) حديث ابن عبد الله بن عمر أن رجلاً سجد لله سجدة فأنزل الله من السماء سبعين ألفاً من الجنة .  
 (١١٩) حديث ابن عمر أن رجلاً سجد لله سجدة فأنزل الله من السماء سبعين ألفاً من الجنة .  
 (١٢٠) شهر يختلف فيه .

أحقيقه، وأمره في مثبته الله، فإن ختمه بالسوء على شقوة لا آخر له، وإن  
 حتم له بالخير حتى مات على الوحيد فينتظر له الخلاص من الدروب بعد  
 حين ولا يستحيل أن يشمه عموم نعيم بسبب حتى لا يصع عليه، كما  
 لا يستحيل أن يدخل الإنسان ناراً ليحذر كراً فينتظر أن يحذر، وإن يحسن في  
 بيت ليحبه الله تعالى نعيم من غير علم كما كان الأنبياء صلبت الله عليهم .  
 فطلب للمعرفة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار، وطلب المال بالتجارة  
 وركوب البحار . وطلبها بمجرد لو جاء مع خراب الأعمال، كطلب الكنوز  
 في المواضع الخربة . وصب العلوم من نعيم ملائكة . وليت من اجتهد نعيم،  
 وليت من اتقى استمى، وليت من صام وصل غفر له . فالناس كلهم محرومون  
 إلا العالمون، والعالمون كلهم محرومون إلا العاصون، والعاصون كلهم محرومون  
 إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم .

وكأن من خرب بينه وبين ماله، وترك نفسه وعياله جميعاً، يزعم أنه  
 ينتظر فضل الله بأن يرزقه كثيراً يحل تحت الأرض في بيته الخرب، بعد جند  
 قوى البصائر من الخفي والمرورين، وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في  
 قلوب الله تعالى وفضله، فكذلك من ينتظر المعرفة من فضل الله تعالى وهو  
 مقصر عن الطاعة، مقصر على الدروب، غير سالك سبيل المعرفة، بعد عند  
 أبواب القلوب من المعشويين .

والصجب من عقل هذا المعشوي، وبروحه حماقه في صيغة حسه، إذ يقول :  
 إن الله كريم، وجنته ليست نصيب على مثل، وممصيتي ليست نظره . ثم تراه  
 يركب البحار، ويفتح الأوعار في طلب الدنار، وإذا قيل له إن الله كريم،  
 ودنانير خرائقه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس بفرك،  
 فاجلس في بيتك معاه برزقت من حيث لا تحسب يستحق قائم هذا الكلام  
 ويستزى به، ويقول ما هذا المومن ؟ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة،  
 وإنما ينال ذلك بالكسب، هكذا قلته مسبب الأسباب، وأجرى به منه،  
 ولا تدل لسة الله . ولا يعلم الممرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن

س لا تدل ما فيها جميعاً، وقته قد أحرق في قول ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا  
 مَا سَعَى﴾ فكيف يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا  
 وكيف يقول ليس مقصي الكريم المتور عن كسب المال، ومقتصد الفتور،  
 عن العمل بسبب انقباضه وسعيه لحالم، وأن من يحكم الكرم يعصيه عن غير  
 جهد في الآخرة، وقد يبعد مع شدة الاجتهاد في عالم الأمر في الدنيا  
 ويسعى فيه تعالى ﴿رُمِيَ السَّيِّئُ رَزَقَكُمْ وَهُوَ عَذِيبٌ﴾

فعود الله من نعيم وانفصال عما هو إلا انكسار على أم الرأس،  
 وانعاس في صلات حيل وصاحب هـ . سير بأن يكون دحلاً تحت قوه  
 تعالى ﴿وَلَوْ لَرَى إِذْ الْمُتَعَرِّفُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا  
 وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ انتهى أبدي . أنت صلت يد فت ﴿وَأَنْ  
 لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ في درجته . وعد ذلك لا يمكن من  
 الانقلاب، ونفق عليه المسبب : فعود الله من دواعي الجهل والشك  
 والارتباب السائق بالضرورة إلى سوء القلب والمآب .



(١٢٥) سحر ٢٩

(١٢٦) سحر ٢٩

(١٢٧) المجلة ١٢



إلا الكبائر.

فعل الأحوال كلها، يبقى أن يحاسب نفسه كل يوم، ويجمع سنة، ويعد في دعائها بالحساب.

وهو فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الإصرار، وفي خبر<sup>١٥٦</sup> المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستغفر من الذنوب، وكان بعضهم يقول: استغفر الله من قول استغفر الله. وقيل: الاستغفار من توبه الكبائر. وقيل رابعة المتوبة: استغفروا يحتاج إلى استغفار كثير.

### استغفار العبد أمان له

واعلم: أنه قد ورد في فصل الاستغفار أخبار خارجة عن المحصر، ذكرناها في كتاب الأدكار والدعوات، حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول ﷺ، فقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾<sup>١٥٧</sup> فكان بعض الصحابة<sup>١٥٨</sup> يقول: كان لنا أمان، ذهب أحدهم، وهو كوكب الرسول ﷺ، وبقي الاستغفار مع غيره ذهب منك يقول:

الاستغفار الذي هو توبه منك، هو الاستغفار من جرد الناس، من غير أن يكون لقلب فيه شركه. كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس المعنة استغفر الله. وكما يقول يد مع صفة البراء يعود بالله م. من غير أن يثربه

(١٥٦) حديث المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستغفر من الذنوب، أي أن الدنيا في التوبة من طريقه اليه من الشعب من حديث ابن عباس يلفظ كالمستغفر من الذنوب وسنده صحيح.  
(١٥٧) الأمان: ٣٣  
(١٥٨) حديث بعض الصحابة في قوله تعالى وما كان الله لمعذبهم وأنت فيهم الآية كان لنا أمان ذهب أحدهم أحمد من قول ابن عباس لا بد من حديثه أن الله على أمانه حديث وسنده وابن مرفعه في مسنده من قول ابن عباس

قلبه. وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان لا حدود له. وقد ورد في قوله تعالى إلى تضرع القلب إلى الله تعالى، وابتدأه في سؤال معتبره، عن صدق ردة وخلوص توبة ورغبة، فهذه حسنة في نفسه. فتصالح لأن يدفع بها عنه. وعن هذا تحسن الأخبار الواردة في فضل استغفار حتى قال ﷺ<sup>١٥٩</sup> أصغر من استغفر ولو عاد في اليوم مائة مرة، هذا عذرة عن الاستغفار بالقلب، وللتوبة والاستغفار درجات. وإنه لا خير عن التوبة وإنه منته إلى أواخرها. ولدت قل ميل. لا بد من كل حال من مولاه. فاحسن نحوه أن يرجع إليه كل شيء: فإن عصى الله بامر عني. وقد فرغ من معصية قل يارب تب علي فبدأت بربك رب ربي نعصيه وقد عير قل يارب تب علي

ومثل أيضا عن الاستغفار الذي يكسر به القلب من الاستغفار الاستغفار، ثم لإزالة، ثم توبة، علامه. عن جورج، وإزالة عن الغيوب. ولوه رفته عن مولاه. بأن من استغفر الله من معصيته الذي هو فيه، ومن اجعل ناسخة ورث. من بعد ذلك يعمر به، ويكون عذره مأواه، ثم سقر من لا مرد، ثم. ثم السب، ثم حكر ثم معرفة، ثم مدحة، ثم معذرة، ثم لا تزداد. وهو الحية. لا يستغفره في قلبه حتى يكون له عذرة. وهو. فومه. والرب ردد، ولو كل ص حه. ثم يصير الله به، فرفعه من العرش. يكون مقدمه من جهة العرش. ومثل أيضا عن قوله ﷺ والثالث حب الله. فإن لم يكن حيا بد كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى في التائب. لعابذون. الآية. وهو حبيب هو الذي لا يدح من حيث يذكره حب

(١٥٩) حديث ما أخر من استغفر - تحققت ظاهرا في ردد  
١٥٩

## ثمره التوبة

والمتعود أن للتوبة مرتبتين إحداهما مكفر سيئ، حتى يصير كمن لا ديب له والذية من الدرجات، حتى يصير حسناً لا شك في أيضاً درجات فيعصيه نحو لأصل باب بالكنية، وعصيه حبيب له ويتصوت ذلك بھاوت درجات التوبة، فالاستغفار بالقلب، والتدارك بالحسنة، وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات؛ فليس يخلو عن العائنه أصلاً فلا يسعى أن تشر أن وجودها كعدمها، بل عرف أهل المشاهدة وروايات الصواب معرفة لا ريب فيها، أن قول الله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ أُذْيَةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ صدق وأنه لا خير درة من خير عن ثمره، كما لا خير شعيرة تطرح في الميزان عن أثر ولو علت الشعيرة الأولى عن أثر، لكنت الثانية منها، ولكن لا يرجح الميزان بأحوال الدرجات، وذلك بالضرورة محال، بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخير إلى أن يثقل فترفع كلمة لسيئات، فإذ أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها، وذرات المعاصي فلا تنفيها كالماء الخرقاء، فكسل عن العزل تعللاً بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط واحد وتقول: أي غنى يحصل بحيط، وما وقع ذلك في الثياب؟ ولا تدري المعتوه أن ثوب الدنيا اجتمعت بخيطاً خيطاً، وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت درة درة

فقد انضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيق عند الله أصلاً، بل أقول الاستغفار باللسان أيضاً حسنة، إذ حركة اللسان بها عن غفلة غير من حركة اللسان في تلك الساعة يعينة مسلم، أو فصول كلام، بل هو خير من السكوت عنه، فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه، وإنما يكون نقصاناً بالإضافة إلى عمل القلب، ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي: إن

المرئول ٧

لسان في بعض الأحوال يجرى بالذكر والقرآن، متى عامل، فقال: اشكر الله إذا استعمل جارحة من جوارحك في الخير، وما ذكره حق، فإن جود الجوارح للخيرات حتى الشر ولم يعود الفضول، وما ذكره حق، فإن جود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع، يدفع جملة من المعاصي، فمن تعود سانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذباً سبق لسانه إلى ما يوعده من استغفار الله، ومن تعود الفضول، سبق لسانه إلى قول: ما أحقك، ما أفصح كذبت! ومن تعود الاستمادة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من ر، قل بحكم سبق اللسان يعود بالله، وقد تعود الفضول قد: لغة الله في إحدى كلمتين ويسمى في الأخرى وسلامه أثر عبد لسانه خير وهو من حسنة معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَمْرَ الْمُخْسِرِينَ﴾، معنى قوله تعالى ﴿وَبِذَلِكَ جَاءَتْ نَصَافُهَا وَبُذْتُ مِنْ لَدُنْهُ أُخْرًا عَظِيمًا﴾، دبر كيف صدمت إذ حسن الاستغفار في المغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر المعاصي بالعينة والنفس والفضول، هذا تضعيف في الدنيا لأدنى الطاعات، وتضعيف الآخرة أكبر لو كان يعلمون.

فإنك وأن تلمح في الصاعات مجرد الآفات، فتعثر وغيتك عن لبيادات، فب هذه مكيدة روجها ليشغل بلسه عن المعريين، وحسن إنهم هم رب البصائر، وأهل التفطن للخفايا والسرائر، فأى خير في ذكرنا باللسان مع عملة القلب، فانقسم الخلق في هذه للمكيدة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات.

أما السابق، فقد صدقت بما ميعود، ولكن هي كلمة حتى أردت بها بطلاً، فلا حرم أعتدك مرتين، وأزعم أنك من وجهين، بأصيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالدي دلوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه.

(١٦٦) التوبة

(١٦٧) الساء

وأما الظالم المعروف، فاستشعر في نفسه عيلاء القطعة لهذه الدققة، ثم عجز عن الإخلاص بالقلب، فترك مع ذلك تمويده للسيد بالذكر، فأسعف الشيطان، وتبدل بحبل غروره، فثبت بينهما المشاركة والموافقة. كما قيل: وافق شين طقه، وافقه فاعتقه.

وأما المقتصد، فلم يقصر على إرغامه بإشراك القلب في العمل، وتمطى لنقصان حركة النفس بالإضافة إلى القلب. ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول، فاستمر عليه، وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع السيد في اعتياد الخير.

فكان السابق كالخائف الذي ذمت حياته فتركها وأصبح كاتباً. والظالم المختلف كالذي ترك الحياة أصلاً وأصبح كئاساً. والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة لا بالإضافة إلى الكساسة. فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياة ولذلك قالت رابعة العدوية استغفرونا محتاج إلى استعارة كثير فلا تظن أنها تترك حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله، بل تترك عملة القلب وهو محاج إلى الاستعارة من عملة قلبه لا من حركته بساها. وفي مكت عن الاستعارة باللسان أيضاً. محتاج إلى استعارة لا إلى استعارة واحد.

فهيكنما يسعى أن تهم دم ما يدم، وحمد ما يحمد، وإلا جيلت معنى ما قال المقاتل الصادق: حسنت الأبرار سيئت بتفريير. وفي هذه أمور كتبت بالإضافة، فلا يسعى أن تؤخذ من غير إضافة. بل يسعى أن لا تسحق درات الطاعات والمعاصي. ولذلك قال جعفر الصادق: إن الله تعالى ثلثاً في ثلاث: رضاه في طاعته، فلا تحقروا منها شيئاً، فاعل رضاه فيه. وغضبه في معاصيه، فلا تحقروا منها شيئاً، فاعل غضبه فيه. وحجاً ولاءه في عباده، فلا تحقروا منهم أحداً، فنعمة ولي الله تعالى. وراود وحاً إجابته في دعائه، فلا تحركوا الدهاء، وربما كانت الإجابة فيه.

## الركن الرابع

في دواء التوبة، وطريق العلاج  
لحل عقدة الإصرار

- تمهيد.
- طلب العلماء أول علاج العاصي وهو الركن الأول.
- الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار.
- الركن الثاني في العلاج: الصبر.
- أسباب الوقوع في الذنوب.
- علاج الأسباب الموجبة للإصرار.





### تمهيد

عنه أن الناس قسما :

القسم الأول : من لا صورة له ، من غير وجه ، وهو الذي قد فيه رسول الله ﷺ ، فعجب من من شأب ليست له صورة ، وهذا غير مدرك

والقسم الثاني : هو الذي لا يغير عن مقاربه ، من ثم هو يفسد من مضربين ومن تثنى ، وعرضا أن بين العلاج في حل عقدة لإصرار ، وبسكر الدواء فيه

فاعلم أن شعاع التوبة لا يحصل إلا بالدواء ، ولا يقف على الدواء من لا يقف على الماء إذ لا معنى للدواء إلا ما لفتة سبب الماء ، وكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ، ورفع ، وإزالة ، ولا يقف شيء إلا بصله ، ولا سبب لإصرار إلا العلة والشهوة ، ولا يصاد لعنه إلا انعم ، ولا يصاد شهوة إلا صبر على دفع الأسباب بحركة شهوة ، وعقبة رأس الخطايا ، قال تعالى ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ لا جرم أنهم في الآخرة هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴿ ١٦٥ ﴾ فلا دواء إذ لشهوة إلا معصية ، فبعض من خلاوة انعم ، وحرارة الصبر ، وكما يجمع المكنونين ﴿ ١٦٦ ﴾ بين خلاوة السكر وخموضة حل ، ويقصد بكن مهما عرض آخر في العلاج مجموعهما ، ويقمع الأسباب

(١٦٦) حديث يعجب بك من الشدائد يست به صوره ، حد وأخبرني من حديث عليه به عدم وليه

من فقهه

هـ نسبته له صمد ، أي من بني هوى

(١٦٩) عبط من الصلوات

(١٦٥) الحل ١٩٠١٨

الهيئة للصبر ، فهكذا ينبغي أن يتقدم علاج القلب مما به من مرض  
الإصرار .

بدأت بدواء الصلابة ثم دواء القلب ، وآخر الصبر ولا بد من  
يأتيه



## الفصل الأول

### طب العلماء

### أول علاج العاصين والأصل الأول

وبن قسنت يفتح كل علم للحق الإصرار أم لا بد من علم مخصوص ؟ . فاعلم أن  
عمود حبيب نوره لأمر من عيوب . ولكن . من مرض علم بخصه . كما أن  
علم صديق في علاج لأمر من . حبيب . يمكن يفتح كل علة علم  
مخصوص . فكذلك دواء لإصرار . حبيب . ذلك العلم على مدرك  
مرض لأمر . يكون قرب . حبيب .

### الإيمان بأصل الشرع

يحتاج المريض إلى تصديق بأمور

الأول : أن يصدق على الجملة بأن للمرض دواء . نسبة يؤمن به .  
بالاختيار ، على رتبة مسبب الأسباب ، وهذا هو الإيمان بأصل الطب . يجب  
من لا يؤمن به لا يسعنا علاج . ويجب عليه الهداية وهذا هو ما نحن فيه .  
لأن أصل الشرع وهو أن سعادة في آخره . هو الصاع ، وسعادة  
هو الصاعية . وهذا هو أصل الشرع . وهذا لا بد من حصوله إما  
عن شخص أو بغيره . وكلامهم من جملة الإيمان

الثاني : أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب . حددق به ، صادق فيما يعبر عنه ، لا يأس ولا يكذب . فإن إتيانه بأصل الطب ينمعه بمجرد دون هذا الإيمان . ووارثه بما لحق فيه ، العلم بصدق الرسول ﷺ ، والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق ، لا كذب فيه ، لا حسب

### الإصغاء إلى وعد الله وتحذيره

الثالث : أنه لا بد أن يصغى إلى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه والأسباب المصرة على الجملة ، حتى يعذب عليه الخوف في ترك الاحتتام فتكون سدة الخوف باعثة له على الاحتواء ووزانه من الدين الإصغاء إلى الآيات والأخبار المستمثلة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الحق ، والتصديق بجميع ما يقى إلى صحة من ذلك ، من غير شك واسترافة<sup>(١٦٧)</sup> ، حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر ، الذي هو الركن الآخر في العلاج .

### طلب العلم ونشره

الرابع : أن يصغى إلى الطبيب فيما يخص مرضه ، وفيما يترمه في نفسه الاحتواء عنه ، ليعرفه أو لا تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ، ومأكوله ومشروبه . فليس على كل مريض الاحتواء عن كل شيء ، ولا ينفعه كل دواء . بل لكل حلة خاصة علم خاص ، وعلاج خاص ، ووزانه من الدين أن كل عبد يقبض على بكر شهوة ، وارتكاب كل ذنب ، بل لكل مؤمن ذنب

(١٦٧) الاسترافة : الزمور والرهبة

مخصص ، له دنوب مخصوصة ، في حاجته : حين مرهقه في العمل ، أو دنوب ، ثم في العمل بدنه ، وفيه ضيرها ، ثم في علم كيفية لتوصل إلى الصبر على ، ثم إلى علم كيفية كسر ما سبب فيه هذه غيره يختص بها . وهذه العدة ليس هي ، إنما هي ما يخص إلى علم عصفائه فعليه طلب العلاج من طبيب ، وهذا العلم . وقد لا يرى أن ما يرتكبه ذنب ، فعلى من يعرف ذلك ، حيث بأن يحسن كل عالم بإقليم أو بلدة ، أو حلة ، أو مسجد ، أو مشيد فيعلم أهله دسم ، ويغير ما يضرهم عما ينفعهم ، وما يشق عليهم عما يسعدهم . ولا ينبغي أن يصير إلى أن يسأل عنه . بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى الله . بهم ورقة الأبياء ، والأنبياء ما تركوا الناس على حيلهم ، بل أنذر بدورهم ، وجمعهم ، ويبدلون على أن يذهب دونه في الله . ويصنع واحد واحد فيرشدهم ، فإن قرصي القلوب لا يعرفون مرضهم . كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مرأه معه ، لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره . وقد مرض عمن العلماء كافة (١٦٨)

وعلى أسلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل حمة طبيباً متديناً ، يعلم الناس دينهم وما الخلق لا يؤمنون إلا به . فلا من يبيع الدعوة بهم في الأصل والفرع . والدنيا دار مرضى . ولا ليس في نفس الأرض ولا ميت ، ولا على ظهرها إلا مستحب . ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان . والعصفاء أطباء ، والبسلاطين قوام دار المرض . فكل من مرض لم يقبل العلاج بمداوة العالم ، يسلم إلى السلطان ليكتب بشره ، كما تسم الطبيب المريض الذي لا يحصى ، أو الذي غلب عليه الجبن ، أو القيم ليقده بسلاسل والأغلال ، ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس .

### أكثريه مرض القلوب على مرض الأبدان

وإن صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث جمل :

(١٦٨) إن دونه واحد من لا يستدعيه من الآخرين

إحدهما : أن المريض به لا يدري أنه مريض

والثانية : أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم . بخلاف مرض البدن ، فإن عاقبته موت مشاهد ، تنفر الطباع منه . وما بعد الموت غير مشاهد . وعاقبة الدنوب موت القلب ، وهو غير مشاهد في هذا العالم . فثبت أنفرد عن الدنوب وإن علمها مريضها ، فثبت أنه يرى على نصر الله في مرض القلب ، ويجب في علاج مرض القلب من غير تكبر .

والثالثة : وهو الداء المعصل فقد أصيب . من الأصء هه بعضه ، وقد مرضوا في هذه الأعصار<sup>١١</sup> امراضاً شديداً عجزوا عن علاجه ، وصارت لهم سوسة في عموم المرض حتى لا يظهر بقعهاهم فاصطبروا إلى سوء الخلق ، وإبشاره عليهم بما يريدهم مرضاً . لأن سوء الخلق هو حب الدنيا وقد عيب هذا الداء على الأطباء ، فلم يقدروا على تخدير الخلق منه ، استكفاهم من أن يبالوا به . فمما بالكتم تأمرور بالعلاج وسوسون تفككم ؟ فيه انصب عم على الخلق الداء وعظم الوباء ، وانقطع الدواء ، وهلك الخلق لقد الأطباء . بل اشتغل الأصء بعون الإغواء ، فليتهم إذا به يصحوا لم يعيشوا ، وإذا لم يصلحوا لم يفسدوا . وليتهم سكبوا وما نطقوا . فإنهم إذا تكلموا لم يسمعه في مواعظهم إلا ما يربع العوام ، ويستعمل قلوبهم . ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء ، وتعييب أسباب الرجاء ، وذكر دلائل الرحمة ، لأن ذلك الذي في الاجتماع ، وأخف على الطباع . فتصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد حرة على بعضي ، ومريد ثقة بعض الله . ومهما كان الطبيب جاهلاً أو حاكماً ، أهلك بالدواء حيث يصعبه في غير موضعه ، فالرجاء والخوف دواءان ، ولكن لشخصين متضادين العنة أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية ، وكلف نفسه ما لا تطيق ، وضيق العيش على نفسه بالكلية ، فكسر سورة إسرائه في الخوف بذكر أسباب الرجاء ، ليعود إلى الاعتدال .

(١٦٩) جمع عصر ، وهو الزمر

وكذلك نصرت على الدنوب ، نشأت نبوة ، تمتع بها بحكم القويط  
وأسس استعداداً لدنوبه التي منتهى ، يعجز أيدياً بأسباب الرجاء ، حتى يصح في قلوب شوبه فيتوب  
فما معدة المعرور المنرجل في بعضي بذلك أسباب الرجاء ، فبعضي  
معاينة المعرور بالعسل صلاً مستنداً . وحدث من ذلك بعضي ولأعضاء . وقد  
سدد لأعضاء هي العصاة الداء . شئ لا تفعل منه أصلاً .

### طريق الوعظ

فإن قلت : وذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في صريف الوعظ مع الخلق . فاعلم أن ذلك يعجز ولا يمكن استقصاءه .  
نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار ، وهي الداء على ترك الدنوب . وهي أربعة أنواع .



(١٧٠) من الدواهي بشديدة ، كما في القاموس



## ذكر حكايات ذنوب الأنبياء والأولياء

النوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين ، ومن جرى عليهم من الأهالك بسبب ذنوبهم ، فذلك شديد الوقع ظاهر البقع في قلوب الخلق

مثل أحوال آدم عليه السلام في عصائه ، ومن ثقبه من الإخراج من الجنة ، حتى روى أنه لما أكل من الشجرة صيرب سجن<sup>(١٧٧)</sup> عن حسنة وبن عورته ، فسحب - ح - وإكليل من وجهه أن يرتفعاً عنه ، فجاءه جبريل عليه السلام ، فحذ التاج عن رأسه ، وحل الإكليل عن جبينه ، ونودي من فوق العرش : ليطا من جوارى فإنه لا يجاورى من عصاى . فلما فتحت آدم إلى حواء باكياً وقال : هذا أول شؤم المعصية ، أخرجنا من جوار الحبيب .

وروى أن سليمان بن داود عليه السلام ، لما عوقب عن حبسه لأجل احتمال الذي عهد في داره أربعين يوماً ، وقيل لأن المرأة سأله أن يحكم لأبيها قال نعم ولم يفعل . وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لكانها منه ، فسلب منه أربعين يوماً ، فهرب تائها على وجهه . فكان يسأل بكفه فلا يظلم . فإذا قال أطعموني قال سليمان بن داود شج ، وطرد ، وضرب ، وحكى أنه استطعم من بيت لامرأته مطردته وبصقت في وجهه . وفي رواية أخرجت عحوز جرة فيها بول فضسته على رأسه ، إلى أن أخرج الله الخاتم من بطن الخوت ، فلبسه بعد انقضاء الأربعين : أيام العقوبة . قد فجاءت فطبور فمكمت على رأسه ، وجذبت الجلس واسياتين والوحوش فاحسنت حوله . فاعتذر إليه بعض من كان جنى عليه ، فقول لا ألومكم بيد معتم من قبل ، ولا أحمكم في علوكم الآن . إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه .

(١٧٧) حلال جمع حلة ، ومن الملابس التي يحل بها الإنسان ويستر .

وروى في ١٧٨ حديث أن رجلاً تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل إليه ليحسب إليه . فمأودته بمسة وحالت بها ، فحدهد واستعصه . قال لله الله ببركة تقواه ، فكان بها في بني إسرائيل . وفي بعض موسى عنه سلام ، أنه قال للحظير عليه السلام . لم أطمعك الله على عه العيب ؟ قال بترك المعاصي لأجل الله تعالى

وروى أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام ، فطر إلى قميص نظرة ، وكان جديلاً ، فكانه أعجبه . قال فوصحه الريح . فقال لم فعلت هذا ولم أمرك ؟ قالت : إني بطيئت إذا أطمعت الله

وروى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام ، أتدري ما فرقت بين وبين ولدك يوسف ؟ قال : لا . قال : قولك إخوته تخاف أن يأكله الدئب وأنتم عنه غاصون لم خفت عليه الدئب ولم تترأسوا<sup>(١٧٩)</sup> . ومن صرت من عفة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له ؟ لو تدري لم رددته حيث ؟ قال : لا . قال : لأنك رجوتني وقت : ﴿ غشي الله أن يأتيهم جميعاً ﴾<sup>(١٨٠)</sup> وبما قلت : ﴿ اذهبوا فتحسروا من يوسف وأخيه ولا تأسوا ﴾<sup>(١٨١)</sup> وكذلك لما قال يوسف لصاحب نيك : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾<sup>(١٨٢)</sup> قال الله تعالى : ﴿ فأنساه الشيطان ذكره فلنك في السجن بضع سنين ﴾<sup>(١٨٣)</sup> . ومن هذه الحكايات لا تنحصر . ولم يرد بها القرب والأخبار ورود الأسرار . بل العزم على الاعتبار والاستبصار ، لتعلم أن لآباء عبيد السلام من يتجاوز عن الذنوب الصغيرة ، وكيف يتجاوز عن غفيرة في الذنوب الكبرى ! نعم كانت سعادتهم في أن عوجنوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة . والأشقياء يهلون ليردادوا ثمناً ، ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر ، فهذا أيضاً مما ينبغي أن يكثر جسمه على أسماع المصيرين ، فإنه نافع في تحريث ذوي النية

(١٧٩) يوسف : ٨٧

(١٨١) يوسف : ٤٢

(١٧٨) يوسف : ٨٣

(١٨٠) يوسف : ٤٧

## ذكر تعجيل عقوبة الذنوب في الدنيا

**النوع الثالث :** أن يقرر عدهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جنائحه . فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ، ويتعاف من عقوبة الله في الدنيا أكثراً لفرط جهوله ، فينبغي أن يحذره به . فإن الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر . كما حكى في قصي داود وسليمان عليهما السلام . حتى أن قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه . وقد تسقط مكرته من القنوب ويستولى عليه أعداؤه . قال عليه السلام (١٨٢) **وإن ألبس الذنوب بالذنوب يضيئه** ، وقال ابن مسعود : **إن لأحس أن تعذب يسي نعم بسبب يسيه وهو معنى قوله عب السلام** (١٨٣) **من قارف دنياً فارقه عقل لا يعود إليه أبداً** ، وقال بعض السلف : **ليست اللعة مولداً في الوجه ، ونفصاً في المال ، إنما اللعة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شر منه ، وهو كما قل . لأن اللعة هي الطرد والإبعاد . فإذا لم يوفق للخير ، وبغفر له الشر فقد أبعد . والحرام عن رزق التوفيق أعظم حرمان . وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف ، فيحرم العبد به عن رزقه المدفع من مجالسة العلماء المتكبرين للذنوب ، ومن مجالسة الصالحين . بل يمتنع الله تعالى ليمتته الصالحون . وحكي عن بعض العارفين أنه كان يمشي في الوحل جامعاً ثيابه ، محترزاً زلقة رجله ، حتى زلقت رجله وسقط . فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويكي ويقول : هذا مثل العبد لا يزال يتوق الذنوب ويجابها ، حتى يقع في ذنب ودين ، فعندما يخوض في الذنوب خوضاً . وهو إشارة إلى أن الذنوب تتعجل عقوبته بالاجترار إلى ذنب آخر . ولذلك قال الفضيل : **ما أنكرت من تغير الرمان وجهاء الإخوان ،****

(١٨٢) حديث إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يضيئه . لم يجد واحداً وصححه إسناده واللفظ له إلا أنه قال الرجل يذنب العبد من حديث ترمذي .

(١٨٣) حديث من قارف دنياً فارقه عقل لا يعود إليه أبداً : تقدم

مديونك ورثك ذلك . وقال بعضهم : **إلى آخر عقوبة ذنبي في سوء خلق** . وحكى . **وقال آخر : أعرف العقوبة حتى لا أفر يسي** . وقال بعض صوفية لادم . **نظرت إلى غلام يصور حسن لوح . فوقعت أنصر إليه ، فعزاني ابن** . **احلا . دمشق ، فأخذ سائر فمستحييت . فقلت يا أبا عبد الله ، سبحان الله تعجب من هذه صورة حسنة ، وهذه تصفة فحكمة ، كيف خلقت** . **سار فعمير يدي وقال : سمعت عقوبة من حزين قبل فموقعت به بعد** . **ثلاثين سنة . وقال أبو سعيد : حزين من عقوبة . وقال : لا يمت** . **أحد صلاة جمعة إلا يذنب يسيه . وقال آخر : ما أنكرتكم من زمانكم** . **فما غيرتكم من أفعالكم . وفي حديث آخر : خلق الله تعالى إن أذننى فما أصنع** . **بالعبد إذا أثر شغبونه على صغتي أن أخوف سيد فاحاني ،**

وحكى عن أبي هريرة . **في قوله : يقول ذكروه قبل فيها كتب** . **قائلاً : ذكروا ذنوبكم ، فذكر قيسى هوى صوته بفكره ، حتى نوبت منه** . **شهادة الرجل . فوقع في الأرض ، وسود حسدى كنه ، فاستترت في** . **بيت ، فم أخرج ثلاثة أيام . فركبت أعرج عسبه في حمالة مصابون ، فلا** . **يردد إلا سود ، حتى انكب بعد ثلاث يميت الحب ، وكان قد وحا إلى** . **فأشحصى من رقة فم يتيه قال : ما صحيح من الله تعالى . كنت** . **فأنت بين يديه ، فذرت عشت شهوة حتى استوت عيبت برفة وأخرجت** . **من بين يدي الله تعالى ؟ فم لا تقي دعوت فم ت ، وثبت إليه عك ، لنبقت** . **الله بذلك الملون . قل فصحت كيف عك يذنب وهو بعد وأب بالرفة** . **وعلم أنه لا يذنب بعد . أب إلا ويسود وجه قلبه . فإن كان مهيئاً أظهر** . **السود على ظهره لب حر . وإلا كان شقياً أعجب عنه حتى ينهك ويسترجع**

(١٨٤) حديث ما أنكرت من منك فم أنكروا من أهلكم : البيهقي في الزهد من حديث أبي البرداء وقال غيره فم يذنب يسيه . وفي حديث آخر : **قلت ما منكم بالذنوب قال ابن أبي حاتم روى عن أبيه أحاديث بوالفيل .**

(١٨٥) حديث يقول الله إن قد ما أصنع بالعبد إذا أثر شغبونه على طاعته أن أحرمه الجنة ما جال

عرب لم أجده

سر . وأحضر كثيره في آفات تدور في قلب ، من الفقر ، والحرص وعجزه . بل من شؤم تدب في قلب على أحسنه أن يكسب ما بعده صفة . فإن بلى شيء كان عقوبة له ، ويخرجه من لرق ، حتى يصاعف شقوة . وقد أصابه نعمة كانت استمر حاته ، وجره حمل ، شكر حتى يعاقب على كثرته . ولم يصح ، فمن بركة طعنه أن يكون كل نعمة في حقه حراء على صاعده ، ويؤثر شكره . وكل منه كدرة لديه ، زيادة في برحاته .

### ذكر حدود الذنوب والنفوس في الوجوه

النوع الرابع : ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب ، كالخمر ، والربا ، والسرقه ، والقتل ، والعيه ، والكبر ، والحسد . وكل ذلك مما لا يمكن حصره . وذكره مع غير أهله وضع الدعاء في غير موضعه . بل يسمى أن يكون العالم كالطبيب الخادق ، فيستدل أولاً بالبعض ، والنسخة (١٨٧) ووجوده الحركات ، على السائل الباطنة . ويشغل بعلاجها ، ليستدل بقرائن الأحوال على جماعها الصفات ، وليتعرض لما وقف عليه اقدم رسول الله ﷺ (١٨٧) ، حيث قال له واحد : أوصني يا رسول الله ولا تكفر علي . قال : **لَا لَغَيْبٍ** (١٨٨) وقال له آخر : أوصني يا رسول الله . فقال عليه السلام : **عَلَيْكَ بِالنَّاسِ وَمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ أَلْبَنَى وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ أَفْقَرُ النَّاسِ وَصَلِّ صَلَاةَ مُؤَذَّعٍ وَإِيَّاكَ وَمَا يُغْتَرُّ بِهِ** . وقال رجل ل محمد بن واسع : أوصني فقال : أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة . قال وكيف لي بذلك ؟ قال لزم الزهد في الدنيا . فكانه ﷺ توسم في السائل الأول تخيل الغضب فيها عنه . وفي السائل الآخر تخيل الطمع في الناس وطول الأمل . وتخيل محمد بن واسع في السائل تخيل الحرص على

(١٨٦) السجدة هبته والبول وهي مضمحل وفتح لسكو .

(١٨٧) حديث قال رسول الله ﷺ ولا تكفر علي قال لا يغضب الله .

(١٨٨) حديث قال له آخر أوصني قال عيب . يا رسول الله . الحديث . أي ما قد تقدم

الدين . وقال رجل لمعاد أوصني فقال : كن حسناً أكرمك الله نعمة رعيته . فكانه تفرس فيه آثار انحصار ونعته وقال رجل إبراهيم بن أدهم : أوصني . فقال : **إِيَّاكَ وَالنَّاسَ** ، **وَسَيِّئَ النَّاسِ** ، **وَلَا تَسْأَلْ مِنَ النَّاسِ** ، فإن الناس هم الناس ، وليس كل الناس بالناس . ذهب الدين . وبقي الناس ، وما أراهم بالناس ، بل عموماً إلى ماء يناس . فكانه تعجب الله الخائفة . وأحضر عما كان هو الغالب على حاله في وقته ، وكان العباد أداه بالناس . والكلام على قدر حال السائل ، أولى من أن يكون بحسب حال القائل ، وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنه أن اكسني لي . يا رسول الله ولا تكثري فكثبت إليه من عائشة إلى مدبرة . سلاء عيب . أما بعد ، فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول (١٨٩) : **مَنْ اتَّقَى اللَّهَ رَضَا اللَّهُ سَخَطَ النَّاسُ كَمَا أَنَّ اللَّهَ رَضَا اللَّهَ وَفِي النَّاسِ سَخَطَ اللَّهُ يَرْضَا النَّاسُ وَكَلَّمَ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ** ، وسلا . عليك ، فانظر إلى فقهما كيف تعرضت للافه لشي تكون الولا بصدددها ، وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم . وكثبت إليه مرة أخرى أما بعد ، فائق الله ، فإنك إذا اتقيت الله كفأك الناس ، وإذا اتقت الناس لم يحوا عنك من الله شيئاً والسلام .

فإذاً على كل ناصح أن تكون حذيقه مصروحه إلى تفرس الصفات الخفية ، ووسم الأحوال اللائقة ، ليكون فتشعله يابسه . فإن حكمة جمع مواضع الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بمرغبه بما هو مستمع عن التوعظ فيه تضيق زمان .

فإن قلت . فإن كان الواعظ يتكلم في جمع . أو سألته من لا يدري باطن حاله أن يعظه ، فكيف يفعل . وعنه أن طريفه في ذلك أن يعظه بما يشرك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم ، وإما على الأكثر . فإن في علوم

(١٨٩) حديث عائشة من النبي ﷺ رضى الله عنه سخط الله وكفه الله إلى الناس . الحديث . الترمذي والبيهقي . وفي نسخة الترمذي من لم يسلم .



رجل نحاه وأدوية ، وأدعية مكوفة وأدعية لأرباب حس . ومثله  
 ما روي أن رجلاً من أئمة بني سعيد حذري أوصى فيه عبيث بقوى الله  
 عز وجل ، وفيه رأس كل خير ، وعبيث رجع ، وفيه رعدة الإسلام .  
 وعبيث ما عرف فيه بمرئ في أهل فارس ، وركب في أهل فارس .  
 وعبيث ما عرفت ، لا من خير ، فمات بعدت تعبت سيده . وقد رجع  
 محسن أوصى في هذا الأمر ما يعرف به . ومن قبله لا يسي ،  
 رحمه الله . وكتب في ذلك ، ولا عده فيمضوا ، واحد من هذا بلاغ ،  
 وأما قصور كسب لأحرار . ولا تعرف الدنيا كل رخص فتكون  
 عدلاً ، وعن أئمة الرجال كذا . ومنه صوماً يكسر شهوات ،  
 ولا يفسد صوماً يفسد صفات . وفي صلاة أفسد من نفسه ، ولا حاس  
 الحس ، ولا تغالط في توجيهه . وقد أوصى أيضاً لابنه . يا بني ، لا تصحك من غير  
 عجب ، ولا تمش في غير أرباب<sup>(١٩١)</sup> ، ولا تسأل عما لا يعبث ، ولا تصيح  
 مائلًا وتصلح مائل غيرك ، فإن مات ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني ،  
 إن من يرحم يرحم ، ومن يفتن يفسد ، ومن يفلح يفلح به ، ومن يفسد  
 السر يفسد ومن لا يفتن لسانه يفسد .

وقد رجع لأبي حاتم في هذا . فقد كان ما لو جهلك الموت عليه فرأيت  
 عبيثاً فامرته . وكل ما لو جهلك موت عليه فرأيت مصيبة حاجته .

وقال موسى للخضر عنيهما السلام أوصني ، فقال : كن بساهاً ولا تكن  
 عضاباً . وكن نقاعاً ولا تكن صراراً ، وانزع عن النجاسة<sup>(١٩٢)</sup> ، ولا تمش في  
 غير حاجة ، ولا تصحك من غير عجب ، ولا تفرح بغير احتساب .  
 وأبك على عيبك يا بني عمران .

(١٩٠) أي حالة عن غوك .  
 (١٩١) أرباب : متعب وحيف ومصيبة وحاجة .  
 (١٩٢) يمشي : فرح من كذا انتهى عنه .  
 والنجاسة : الخبث في الشريعة .

وقال رجل لعمد بن حنبل أوصني : فقد اجتهد في رضا خالقك بقدر  
 ما تجتهد في رضا نفسك .

وقال رجل لحامد اللعاف أوصني . فقد : اجعل لبيبك غلاماً كعلاف  
 المصحف أن تدبسه الآفات . وقد رجع لحامد اللعاف أوصني . فقال :  
 اجعل لبيبك غلاماً كعلاف المصحف أن تدبسه الآفات . قال وما علاف  
 اللبيب ؟ قال ترك طلب الدنيا . لا ما لا . وترك كثرة الكلام إلا فيما  
 لا يدمنه ، وترك محاطة الناس إلا فيما لا يذمونه .

وكتب الحسن بن علي بن عبد العزيز رحمه الله تعالى . أما بعد ، فخطب  
 في حرمات الله ، وأحذر من حذر الله ، وأحذر من يدرك ما بين يديك ، فمد  
 يده يبيت خير شئ : سلام .

وكتب عبد بن عبد العزيز إلى الحسن بن علي بن عبد العزيز رحمه الله : فكتب إليه أما  
 بعد ، فإن أهول لأعصم والأمور انصرفت لبيت ، ولا بدت من مشاهدة  
 ذلك إما بالحدة وإما بالمعطب . وأعلم أن من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل  
 عنه خسر . ومن نظر في المواقب نجح ، ومن أطاق هواه ضل ، ومن حسم  
 غنم ، ومن خاف أس ، ومن آمن اعتبر ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ،  
 ومن فهم علم . فإذا زلت فارجع ، وإذا دمت فافزع وإذا جهلت فاسأل ،  
 وإذا قصبت فأمسك .

وكتب بصرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد ، فإن  
 الدنيا در عقوبة ، وه جمع من لا عقل له ، وما يقتر من لا علم عنده .  
 فكيف يباشر مؤمن كانه ويخرجه عنه على شدة لدواءه يوافق من  
 عنه الله .

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى عبد بن أرباب : أما بعد ،  
 فإن الدنيا عبوة أولياء الله ، وعدوة أعداء الله . فاما أولياءه فمعهم .  
 وأما أعداؤه فمخربهم .

وكتب أيضاً إلى بعض عماله أما بعد ، فقد أمكنك القدرة من ظلم  
العباد ، فإذا همت بظلم أحد فادكر قدرة الله عليك وأنعم أن الله عز وجل  
أخذ المظالمين من الظالمين والسلا

فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة ، ووعظ من لا يرى خصوص  
واقفته . فهذه للوعظ مثل الأعدية التي يشترك الكفة في الاعتدال بها . ولأخر  
فقد مثل هؤلاء الوعاظ انقسم باب الأبدع . وشب الناس ، واستشرى  
المسد ، وبنى الخلق بوعده بجرهوب . سحرى ، ويسدون أناء ، ويكفون  
ذكر ما ليس في سعة علمهم ، وينسبون إلى غيرهم . فسقط عن قلوب  
العامة وفكرهم ، ولم يكر كلامهم صادراً من القلب ليصل إلى القلب .  
القاتل متصلف ، واستمع متكلف ، وكل واحد منهما مُدبّر ومتحلف . فإذا  
كان طلب الطبيب أو علاج مرضى ، وطلب العلماء أول علاج العاصية .  
فهذا أحد أركان العلاج وأصوله



الفصل الثالث

## الركن الثاني في العلاج الصبر

الأصل الثاني : الصبر ووجه العلاج به أن المريض إما يطول مرضه لتناوله  
من بصره . وإما يتناول ذلك إما لعفته من مصرفته ، وإما لشده عليه شهوته .  
فهذه سببان مما ذكرناه هو علاج الصبر ، فمضى علاج الشهوة وصرف  
علاجها قد ذكره في كتاب رياضة الصبر

وخاصة أن المريض إذا اشتدت به رغبة في تناول منعه ، فصرفه أن  
يشعر عظم ضرره ، ثم يحجب ذلك من عينه فلا يحصره ، ثم يتسلى عنه  
بشرب منه في صبره ولا يكثر ضرره . ثم يصبر بقوة الخوف على الألم الذي  
يسببه في تركه . فلا بد من كل حال من مرارة الصبر . فكذلك يحتاج الشهوة  
في المنع كالتسلى مثلاً به عنقه الشدة ، فصرفه لا يقدر على حنقه عنه ،  
ولا حنقه منه ، أو حنقه جوارحه في سعى وراء شهوة فيسعى أن يشعر  
ضرره فتيه ، بأن يستقرى الشقوق التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة  
رسوله ﷺ . فإذا اشتد خوفه لم يعد من الأسباب المنهجة لشهوته . ومهيج  
الشهوة من خارج ، هو حضور المشتى ينظر إليه ، وعلاجه اهرب والعلة  
ومن داخل تناول لذائذ الأطعمة ، وعلاجه الجوع والصوم النديم . وكل ذلك  
لا يتم إلا بصبر ، ولا يصبر إلا عن خوف ، ولا يخاف إلا من عزم ، ولا يعلم  
إلا عن بصيرة وتفكير ، أو عن سماع وتقليد . فأول الأمر حضور محاسن  
الذكر ، ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل ، مصروف إلى  
السماع ، ثم التمعك فيه تمام الفهم وبعث من تمامه لا بحالة حووه وإذا قوى  
الخوف تيسر بمعونه الصبر ، وانبعثت للنواحي لطلب العلاج ، وتوفيق الله



#### الفصل الرابع

### أسباب الوقوع في الذنوب

أحدها : أن تعذب المرء من بين حصر وانفس حسب ماثره  
بالحصر ماثره بالمرء حسب ماثره بالمرء

الثاني : أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجرة ، وهي في الحال  
أحدة بعين وقد قوى ذلك وأبـ عنها سبب لأعياد والإلف ، وعبدة  
ضيعة حمسه ، وروى عن محمد بن حنفية (رحمته الله) عن بعض  
قربى تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ أَمْحِلَ وَتُحِبُّونَ الْأَحْرَ ﴾ <sup>١</sup> وقد عر  
وجس ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ <sup>٢</sup> ، وقد عر عن شدة الأمر فوس  
رسول الله ﷺ : « حُمِّتِ الْهَيْبَةُ بِالْمُكَارِهِ وَحُمِّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ »  
وقوله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ النَّارِ فَقُلْ لِحَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرِّ إِلَيْهَا فَذْ . وَعِزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا  
فَحَقَّقَهَا بِالشَّهَوَاتِ . ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرِّ . فَقُلْ : وَعِزَّتْكَ  
لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَحِيهَا وَخَبَّرَ الْحَقَّ فَقَالَ لِحَبْرِيلَ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرِّ . فَقَالَ : وَعِزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا  
دَخَلَهَا فَحَقَّقَهَا بِالْمُكَارِهِ ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرِّ إِلَيْهَا . فَقُلْ :  
وَعِزَّتْكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ . بِدَأْ كَوْنِ الشَّهَوَاتِ مَرْتَهَنَةً فِي

(١٩١) القيامة : ٢٠

(١٩٥) الأعراف : ١٦

(١٩٦) حديث جده - عليه السلام - حديث جده - عليه السلام - حديث جده - عليه السلام

(١٩٧) حديث إن الله حسن - فقال جده - عليه السلام - حديث جده - عليه السلام - حديث جده - عليه السلام

وصحبه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

ونفسه من وراء ذلك . فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء ، واستشعر  
الخوف فائق ، وانتظر الثواب ، وصدق بالحسن ، فسيبره الله تعالى  
لليرى . وأما من يخل واستغنى ، وكذب بالحسن ، فسيبره الله لليرى ،  
فلا يرى عنه ما شغل به من ملاد الدنيا مهاسكت ويردى وما على الأنبياء  
إلا شرح طرق الهدى ، وإف الله الآخرة والأولى .

فإن قلت : فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان ، لأن ترك الذنب لا يمكن إلا  
بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الحرف ، والخوف لا يكون إلا بالعلم ،  
والعلم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتسديد بعظم ضرر  
الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان ، فكان من أصر على الذنب لم  
يصر عليه إلا لأنه غير مؤمن ، فاعلم أن هنا لا يكون لفقد الإيمان ، بل يكون  
لضعف الإيمان . إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد من الله تعالى ،  
وسبب العقاب في الآخرة . ولكن سبب وقوع في الذنب أمور



١٩١

١٩٥

١٩٦

١٩٧



## الفصل الخامس

### علاج الأسباب الموجبة للإصرار

#### الفكر الحقيقي دواء الوقوع في المعاصي

فإن قلت : فما علاج الأسباب الخمسة ؟ فأقول هو الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول ، وهو تأخر العقاب ، أن كل ما هو آت آت ، وأن غداً للناظرين قريب ، وأن الموت قرب إلى كل أحد من شركائ نعله ، فما يدريه لعل الساعة قريب . والمتأخر إذ يقع صار عاجزاً . ويذكر نفسه أنه أبداً في دنياه يتعب في الحال لحرق أمر في الاستقبال . إذ يركب البحار ، وينافس الأسفار ، لأجل الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال . بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت ، وكان الماء البارد ألد الأشياء عنده تركه ، مع أن الموت ألد لحظة إذا لم يخفف ما بعده ، ومفارقة الدنيا لا بد منها . فكم نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزلاً وأبداً ، فينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول فمي لم تقم معجزة على طبعه ، فيقول . كيف يليق بعقلي أن يكون قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات عندي ، دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبعه ، ولا يشهد له إلا علوم الخلق ؟ وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض ، وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا ؟

وبهذا التفكير بعينه يعالج المدة الغالبة عليه . ويكلف نفسه تركها ، ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام المسهر وهي أيام قلائل ، فكيف أقدر على ذلك أهد الآباد ؟ وإذا كنت لا أطيق ثم الصبر ، فكيف أطيق ألم النار ؟ وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتقصصها واسترج صفوها

الحال ، ويكون العقاب متأخر إلى المال ، ميبان ظاهراً في الاسترسال . مع حصول أصل الإيمان . فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه ، مكذباً بأصل الطب ، ولا مكذباً بأن ذلك مضر في حقه . ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه عاجز ، فهون عليه الألم المنتظر .

الثالث . أنه ما من ملذب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة ، وتكفير السيئات بالحسنات . وقد وعد بأن ذلك يجره . إلا أن طول الأمل غالب على الطباع ، فلا يزال يسوّف التوبة والتكفير . فمن حيث رجاءه التوقى للثوبة ، ربما يقدم عليه مع الإيمان .

الرابع : أنه ما من مؤمن موقن ، إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العفوية إيماناً لا يمكن العفو عنها . فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالاً على فضلى الله تعالى .

فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب ، مع بقاء أصل الإيمان . نعم قد يقدم الذنب بسبب خامس يقدح في أصل إيمانه ، وهو كونه شاكاً في صدق الرسل ، وهذا من الكفر . كالذى يحذر الطبيب عن تناول ما يضره في المرض . فإن كان المخبر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب ، فيكديه أو يشك فيه ، فلا يبالى به . فهذا هو الكفر .



بكدرها . فكيف أصبح عن نعيم الآخرة ؟ وأما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في أن أكثر صباح أهل النار من التسويف ، لأن المسووف يبنى الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلمله لا يبقى وإن بقي فلا يقدر على الترك غداً كما لا يقدر عليه اليوم . فليت شعري هل عجز في الحال إلا لقلة الشهوة ؟ ولشهوة ليست تفارقه غداً بل تضعاف ، إذ تتأكد بالاعتیاد . فليست الشهوة التي أكدها الإنسان بالمادة كالتي لم يؤكددها . وعن هذا هلك المسووفون ، لأنهم يظنون الفرق بين المتأملين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبداً شاق ، وما مثال المسووف إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فربما قوة لا تنقطع إلا بمشقة شديدة ، فقال : أخرها سنة ثم أعود إليها ، وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه . فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقة ، إذ عجز مع قوته عن مقاومة مصعبه . فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضيف . وأما المعنى الرابع ، وهو انتظار عفو الله تعالى ، فعلاجه ما سبق . وهو كمن يتفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء . منتظراً من فضل الله تعالى أن يزرقه العشر على كثر في أرض غربة . فإن إمكان العشر عن الذنب مثل هذا الإمكان . وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة في بلده ، وترك ذخائره أمواله في صحن داره ، وقدر على دفنها وإخفائها فلم يفعل ، وقال : أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب ، حتى لا يتفرغ إلى داري ، أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار ، فإن الموت ممكن ، والغفلة ممكنة ، وقد حكى في الأسمار أن مثل ذلك وقع : فأننا أنتظر من فضل الله مثله . فنتظر هذا منتظر أمر ممكن ، ولكنه في غاية الحماقة والجهل ، إذ قد لا يمكن ولا يكون . وأما الخامس وهو شك فهذا كفر . وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل . وذلك بطول . ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحمد عقله فيقال له :

ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن ؟ أو تقول أعلم أنه محال ، كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة ؟ فإن

قال أعلم استحالة كذلك فهو أم لا معنوه ، وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء . وإن قال أنا شك فيه . لو أعيرك شخص واحد مجهول ، عند تركك طعامك في البيت لحظة . ولغت فيه حية ، وألقت معها فيه ، وجوزت صدقه ، فهل تأكله أو تتركه ؟ وإن كان الله الأظمة ؟ فيقول أتركه لا بحالة ، لأن أقول إن كذب فلا عوتني إلا هذا الطعام ، والصبر عنه وإن كان شديداً فهو قريب ، وإن صدق تنقضى الحياة ، والموت بالإضافة إلى أم الصبر عن الطعام وإنسانته شديدة . يقال له : يا سبحان الله ، كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم ، مع ما ظهر من المعجزات ، وصدق كافة الأولياء ، والعلماء ، والحكماء ، على جميع أساف العقلاء ، ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الألباب ، عن صدق رجل واحد مجهول ، لعل له غرضاً فيما يقول ! فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر ، وأثبت ثواباً وعقاباً ، وإن اختلفوا في كيفيته ، فإن صدق قد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد . وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهادات هذه الدنيا القانية المكثرة فلا يبقى له توقف إن كان عاقلاً مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبد الآباد . بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالنفوس ، وفقرنا ظاهراً يلتقط في كل ألف سنة حبة واحدة منها . فليت النيرة ، ولم ينص أبد الآباد شيئاً . فكيف يفتر رأي الغافل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلاً ، لأجل سعادة تبقى أبد الآباد ! ولذلك قال أبو العلاء أحمد بن سليمان التوحي المعري :

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تبحث الأموات قلت إليكما  
إن صح قولكما فليست بخامر أو صح قولی فاخسار عليكما

ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور ، وكان شاكاً : إن صح ما قلت قد تخلصنا جميعاً ، وإلا فقد تخلصت وملكك . أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال . فإن قلت . هذه الأمور جلية ، ولكنها ليست شال إلا بالتفكر ، فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستغفلته ، وما علاج القلوب لرجعها إلى الفكر ، لا سيما من آمن بأصل

الشرع وتفصيله . فاعلم أن المانع من الفكر أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها ، وشدائدها ، وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم . وهذا فكر للداغ مؤلم للقلب ، فينزع القلب عنه ، ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة .

والثاني : أن الفكر شغل في الحال مانع من اللذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ، ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقت . فصار عقله مسخراً لشهوته ، فهو مشغول بتدبير حيلته ، وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة ؟ والفكر يمنعه من ذلك . وأما علاج هذين المانعين ، فهو أن يقول للنفس : ما أشد غلبتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده ، تألماً بذكره ، مع استحقاق ثم مواقفته . فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع ، وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ، ومتألم به !

وأما الثاني : وهو كون الفكر مفوتاً للذات الدنيا ، فهو أن يتحقق أن فوائد لذات الآخرة أشد وأعظم . فليها لا آخرها ، ولا كدورة فيها . ولذات الدنيا سريعة الدثور ، وهي مشوبة بالمكدرات . فما فيها لذة صانية عن كدر . وكيف وفي التوبة عن المعاصي والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى ، واستراحة بمعرفته ، وطاعته ، وطول الأنس به ! ولو لم يكن للطمع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلوة الطاعة ، وروح الأنس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافياً . فكيف بما يضاف إليه من نعيم الآخرة ! نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ، ولكنها بعدما يصبر عليها مدة مديدة ، وقد صار الخير ديدناً ، كما كان الشر ديدناً ، فالنفس قائلة ما عودتها تعود ، والخير عادة ، والشر لاجبة .

فإذا هذه الأفكار هي المهيجة للخوف المهيح لقوة الصبر عن اللذات . ومهيح هذه الأفكار وعظ الوعاظ ، وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق لا تدخل في الحصر ، فيصير الفكر موافقاً للطبع ، فيميل القلب إليه . ويعبر

عن السبب الذي أوقع الموافقة بين طبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق . إذ التوفيق هو التوفيق بين دة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة . وقد روى في حديث ضعيف أنه قام عمار بن ياسر فقال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الكفر على ماذا بُني فقال علي رضي الله عنه : بني على أربع دعائم . على الحياء ، والعسى والعقلة ، والشك . فمن جفا أحد الحق ، وجهر بالباطل ومقت العلماء . ومن عسى نسي الذكر . ومن عقل جاد عن الرشيد . ومن شك غرته الأمان . فأخذته الحسرة والندامة . . . من الله ما لم يكن يحسب .

فما ذكرناه بيان لبعض آفات الفكر عن التفكير وهذا القدر في التوبة كاف .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ..





## قهرس التوبة

صفحة

الموضوع

٥	كلمة الخقق
٩	دراسة التحقيق :
	[ هذا الكتاب - المؤلف - عصره - مؤلفاته - حجة الإسلام الغزالي مؤلفاً ومجدهاً - منهج التحقيق ]
٢١	مقدمة المؤلف
٢٣	تمهيد
٢٥	الركن الأول : في نفس التوبة
	[ ويتضمن خمسة فصول ]
٣٥	الركن الثاني : فيما حصة التوبة (وهي النوب صفاتها وكبائرها)
	[ ويتضمن أربعة فصول ]
	الركن الثالث : في تمام التوبة ، وشروطها ، ودوامها إلى آخر
٩٩	العمر
	[ ويتضمن خمسة فصول ]
١٣٧	الركن الرابع : في دولة التوبة ، وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار .
	[ ويتضمن خمسة فصول ]

وبحمد الله الذي نعمت بهم الصالحات

AL-MUS TAFI.COM